فريق
متميزون
E-BOOK

أليخاندرا ألغورتا

المدينةُ الغول

رسومات: إيبان ريكيتمان

ترجمها عن الإسبانية
سعيد بنعبد الواحد

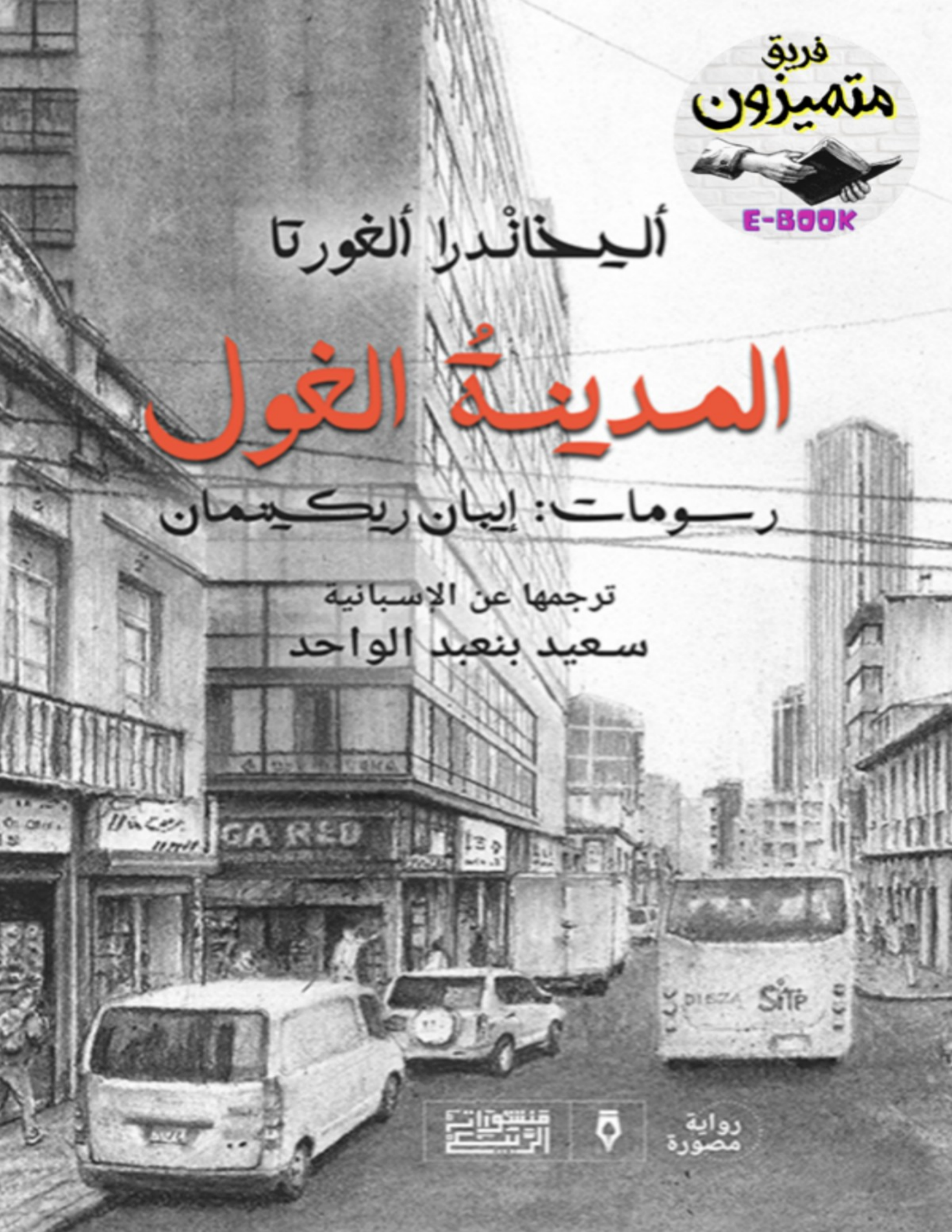

رواية مصورة

مكتبة فريق (متميزون)

لتحويل الكتب النادرة الى صيغة نصية

قام بالتحويل لهذا الكتاب:

كلمه مهمة: هذا العمل هو بمثابة خدمة حصرية للمكفوفين، من منطلق حرص الجميع على تقديم ما أمكن من دعم للإنسان الكفيف، الذي يحتاج أكثر من غيره للدعم الاجتماعي والعلمي والتقني بحيث تعينه خدماتنا هذه على ممارسة حياته باستقلالية وراحة، وتعزز لديه الثقة بالنفس والاندماج بالمجتمع بشكل طبيعي.

وبسبب شح الخدمات المتوفرة للمكفوفين حرصنا على توفير خدمات نوعية تساعد الكفيف في المجالات التعليمية العلمية والثقافية وذلك بتسخير ما يتوفر من تقنيات خاصة لتحويل الكتب الي نصوص تكون بين أيديهم بشكل مجاني، ويمكن لبرامج القراءة الخاصة بالمكفوفين قراءتها.

مع تحيات: فريق (متميزون) انضم الى الجروب

انضم الى القناة

المدينة الغول

(رواية مترجمة ومصوّرة)

أليخاندرا ألغورتا

رسومات: إيبان ريكينمان

ترجمها عن الإسبانية: سعيد بنعبد الوحد

عن الكتاب..

في حيّ فقير من أحياء بوغوتا، اكتشف فابْيو سحر الحركة وخفة التنقل على متن دراجته الهوائية. على متنها كان يوزِّع ما تصنعه أمُّه من خبز للجيران، ورفقتَها راح يستكشف الأحياء المجاورة مع زُمرة من الأطفال. وشيئًا فشيئًا أصبحت الدرَّاجة جزءًا منه وصار جسده امتدادًا لها، بل باتَ المقود مثل عينيه والدوَّاسة تنبض مثل قلبه.

لكنه استيقظ ذات صباح وقد نسي كيف يركبها. كانت الصدمة قوية فانعزل فابْيو عن العالم الخارجي مختبئًا تحت سريره. صار يخشى الكبار وأكاذيبهم. فهل نسي فعلًا كيف يركب الدراجة؟ هل كذب عليه أبواه وهما يؤكدان أن ركوب الدراجة شيءٌ لا يُنسى أبدًا؟

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

يومَ نسيَ فابْيو

وإذا ما ارتكبتُ، حين أتحدث،

نفس الأخطاء التي يرتكبها الجميع،

أقول مع نفسي: أنا من هنا،

أنتَ لم تُلوّثني سُدى.

فابْيو مورابيتو [1].

كانت تسطع شمسٌ قاسية.

كفَّ جسدُه عن القيام بما كان يفعله عدة مرات، والآن لا تفعل رُكبتاه سوى أنهما تخدشان الأرض. قال له أبواهُ إن الجسم لا ينسى. وأنه لا يمكن للمرء أن ينسى ما تعلَّمه بجلده مثل الطريقة التي نمشي بها، نرقص، ونجري.

إنه هناك في الجسد (المسافة التي يجب أن تدخل بها شوكةُ الأكل إلى الفم حتى لا تصطدم بالأسنان) وما يعرفُه الجسمُ يعرفُه إلى الأبد. لكن فابْيو نسي كيف يركبُ الدرّاجة وهو يعتقد الآن أن أبويه يكذبان عليه.

ليس لأن فابْيو شخص كثير النسيان؛ فهو يذكر كلَّ أرقام هواتف البيوت التي اشتغلت فيها أمُّه، يذكر ثمن كل تذكرة من تذاكر الحافلات خلال السنوات الثلاثة الأخيرة. بل إن فابْيو يذكر حتى الأشياء التي يسمعها ولا يفهمها مثل "السرعة تساوي المساف مقسومة على الزمن" أو "ضاع كثير في الطوفان ولا شيء كان في ملكي". لكن فابْيو نسيَ ركوب الدرّاجة.

لم يشعر فابْيو قطُّ أنه مختلف، لم يكن أقصر أو أطول تلميذ في الصفّ، كما أنه لم يكن أكثر التلاميذ بدانةً أو أكثرهم هُزالًا. في الحيّ، لم يُطلقوا عليه أي كُنية ولم ينقصه قطُّ أي شيء مهم. يبدو طفلًا عاديًّا. له عينان عسليّتان وجلدٌ

بلون الشجر. كلّا، جلدُه ليس بلون الشجر، بل له لون أصفر يريد أن يكون بُنّيًا، كمن كان لونُه بلون الشجر ثم فقدَ القشرة. بدوره، فقدَ فابْيو ذلك الحيّز الصغير من الدماغ الذي تقع في ذاكرة من تعلّموا ركوب الدرّاجة. إنه حجرة صغيرة في الجزء الخلفي من الرأس فوق القفا تمامًا. هناك، في تلك الحجرة الصغيرة، يحتفظ الجسدُ بما لا يُنسى أبدًا. أحيانًا، يلمسُ فابْيو بأطرافِ أصابِعه المكان الذي ينبغي أن تكون فيه تلك الحُجرة الصغيرة فيشعر بفجوة.

ربما نسي لأنه تعلم ذات يوم أربعاء. فالأطفال في بوغوتا عادةً ما يتعلمون ركوب الدراجات أيام الأحد، لكن والد فابْيو لا يمكن أن يُعلّمه كيف يركب الدرّاجة في ذلك اليوم، لأن والد فابْيو يشتغلُ أيام الأحد. روبيرْتو يسوق الحافلة ويشبه كثيرًا فابْيو، يفوقُه بدانةً بشكل قليل، أكثر طولًا منه وأكثر جدّيةً. يجب أن يكون المرء أكثر جدّيةً ليسوق حافلات نقل في مدينةٍ مثل بوغوتا، خصوصًا في هذا العصر الذي صارت فيه الحركة تجارة، ولا أحد يترك أي أحد آخر ليشتغل. لكن هذه فقط أمور يسمعُ فابْيو والده يقولها ولكنه في الحقيقة لا يفهمها جيدًا. ما يفهمه فابْيو حقًّا هو أن الناس يجبُ أن يتحرّكوا ليعيشوا وأن روبيرْتو، والده، يتأكد من أنهم يستطيعون التحرُّك عبر المدينة دون مشاكل كبيرة. وامتيازُ ممارسةِ عملٍ مهمٍّ جدًّا مثل ذلك هو أن والد فابْيو من الأشخاص القلائل الذين يعرفون كم هي كبيرة مدينة بوغوتا وكم تنمو كل يوم (من 30 سنتيمترًا إلى 1000 متر). والأمر السيء في ذلك أن روبيرْتو لم يستطع أن يُعلّم ابنه كيف يركب الدرّاجة سوى يوم الأربعاء، وهو اليوم الوحيد الذي ينسى فيها المرءُ ما يتعلّمُه.

أو ربما نسي لأن الدرّاجة كانت بلون السلمون. أمُّ فابْيو، اسمُها آنا صاحبةُ أعذب يدين في المدينة بكاملها، عقدَت صفقةً مع بائع الفواكه الذي أعطاها درّاجة ابنته المُستعملة مقابل ثماني كعكات. كانت الدرّاجة دائمًا بلون السلمون، بشرائط لامعة وجليد فوق المقود. قطعت أمُّ فابْيو شرائط المقود يوم ذلك الأربعاء الفظيع، عندما قال لها زوجها روبيرْتو:

- لن يذهب فابْيو إلى المدرسة هذا اليوم، سوف أُعلِّمه ركوب الدرّاجة.

أو ربما نسي فجأةً لأنه لم يتعلَّم قطّ كيف يرْكَب درّاجة ذات عجلات مُساعِدة. فروبيرْتو وآنا بدا لهما أنه من الغباء أن يُعلِّما فابْيو ركوب درّاجة ذات عجلات مُساعِدة ثم يعلّمانه بعد ذلك كيف يركب درّاجة من دون تلك العجلات. ثم إن روبيرْتو كان يظن أن ابنه، وهو يتعلم ركوب درّاجة من دون عجلات مُساعِدة يُعوّضُ عن كون الدرّاجة بلون السلمون. لم يكن فابْيو يفهمُ ما يشعُر به والدُه من خجلٍ لأن الدرّاجة بلون السلمون. ولا علاقة لذلك بذاكرة الأسماك (سلمون، سمك النهاش، سمك البلم) التي بالكاد تدوم عشر ثوان، وهي المدة التي احتاجها فابْيو لينسى.

كان روبيرْتو يشعر بالخجل لأن السلمون هو لون النساء، بينما لونُ الرجال هو الأزرق. كان عالمُه ينقسم بين الأطفال والطفلات وما يخص كل فئة منهما: أسماك السلمون للطفلات وأسماك القرش للأطفال، السماء للأطفال والأرض للطفلات، السراويل للأطفال والتنانير للطفلات، الحساء للطفلات والأكل الصلب للأطفال. على أيِّ حال، منذ أن تعلَّم كيف يركب، لم تعُد الدرّاجة من الأشياء التي تنتمي لأطفال وطفلات العالم، كانت لفابْيو ولم تتوقف عن كونها بلونِ السلمون.

- ارْتَدِ ملابسكَ، يا فابْيو، إن كنتَ ستركب الدرّاجة مثل بنْتٍ أو ستقوم بذلك مثل ذَكَرٍ - قال له والدُه يوم ذلك الأربعاء الذي تعلَّم فيه فابْيو ركوب الدرّاجة رغم كل التوقعات.

- مُستعد؟

- مُستعد.

كان روبيرْتو يُمسكُ المقود بيده اليُسرى، ويُمسكُ مقعد الدرّاجة بيده اليُمنى. لم يبدأ الحركة بعدُ، وقد شعر فابْيو بأنه يستحيل أن تظل الدرّاجة واقفة من دون دعم أبيه.

- ما دُمتَ تدوسُ فلن تسقُط، دَوِّسْ وتشبَّثْ بقُوة.

بساقيْن مثل ساقيْ فيلٍ، بدأ روبيرْتو يجري، لا يمكن أن يكون ذلك سهلًا هكذا، إنها خدعة، مزحة كبيرة بحجم الكون. كان فابْيو يستنشق الهواء ويلفظُه بسرعة، يُفكّرُ أثقُ ويختار أن يثق بأبيه، يُفكّر أستطيعُ ويستطيع. في النهاية، يتمثَّل عمل أبيه في أن يتحرّك الناس. أبوه يحمل الناس من مكان إلى آخر في المدينة، وبكل تأكيد سوف يجعله يتحرّكُ من مكان إلى آخر داخل مجموعة المساكن.

- أبي، لا تطلقني - وتذوبُ رُكْبتا فابْيو من الخوف.

- إن لم أطلقك لن تتعلم - قال له أبوه.

- لا تطلقني.

- لا أطلقك.

- لا تطلقني؟

- رغم أنني أطلقك فإنني لا أطلقك.

كان فابْيو يُدوِّسُ فتزدادُ سرعة الدرّاجة ويصير الشارع أقصر فأقصر. يخرج الجيران من بيوتهم رغبةً في رؤية فابْيو يسقط. روبيرْتو يطلق الدرّاجة. فابْيو

لا يفهمُ.

- اضغط على الدَّوَّاسة! - يصيح أبوه.

- اضغط على الدَّوَّاسة، يا فابْيو! - يصيح الجيران مُستمْتِعين.

كان المقودُ يرتعشُ، العجلةُ الأمامية تتحرّكُ كما لو أنها تريد أن تطير حُرّةً طليقةً دون قيودِ المعدن. فابْيو يُدَوِّسُ ويسند كل ثقله على المقود. إنه أنبوب حديدي يستند إلى أنبوب آخر مشدود إلى عجلتين. كيف يمكن لآلة بهذه النحافة أن تتحمل كل وزنه وتتحرك بهذا الشكل؟

كان الشارع ينتهي. لم يعد فابْيو يسمع شيئًا ويعرف أنه لا ينبغي له أن يُغير الاتجاه نحو الشمال. توقّف عن التّدويس والدرّاجة ما تزال تطيرُ فوق الإسمنت. يضغط فابْيو على المقود ويُحوّلُه قليلًا نحو الشمال. فَعَلَ ذلك، ظهرَ شارعٌ جديدٌ أمامه، ومن جديد المدينة. دوّسَ فابْيو من جديد وكبُر. كان فابْيو يكبُرُ رفقة درّاجته ولم يعُد بإمكانه أن يكبر أكثر من ذلك ويكون أكثر خفةً في الوقت ذاته. صار حيُّه صغيرًا جدًّا وهو عملاقٌ: فابْيو العظيم، بدرَّاجته بلون السلمون، يستطيع أن يُحلِّق فوق المدينة.

منذئذ، لم يعد فابْيو هو فابْيو، شخصًا عاديًّا، جلدُه بلون الشجر. صار الآن هو فابْيو صاحب الدرّاجة، فابْيو السريع. فابْيو، هل أنت ذاهب؟ فابْيو، هل ذهبتَ؟ وكما الناس الذين ينقلهم أبوه من مكان إلى آخر في المدينة، أصبح فابْيو الآن بحاجة ليتحرّك كي يعيش.

هكذا، بالعيش معًا، تعرّفَ فابْيو ودرَّاجته على بعضهما فقط كما يمكن أن يتعرّفَ عضوان من جسدٍ واحدٍ على بعضهما البعض. كان فابْيو يعرف بالضبط المسافة التي تفصل يده عن رافعة المكبح، وكانت الدرّاجة تعرف متى سينعطفُ فابْيو (لأن رُكبتاه تتوتران نحو الداخل). كان كلاهما يعرفان بأي سرعة كان أكيدًا أن فابْيو يُطلق المقود، فتتحول الدرّاجة إلى موجة تحمل فابْيو بينما هو يرفع ذراعيه ويحسُّ بالرّيح. هي كانت تعرف أن نقطة ضعف فابْيو تكمن في الجزء الخلفي من رُكبتيْه وفابْيو يعلمُ أن للدرّاجة لولبين اثنين يزيدان عن حاجتها ويخرجان بارزيْن في العجلة الخلفية، لكنهما كان يُحبّان بعضهما بنفس القدر. كانت الدرّاجة فريدة من نوعها: منذ أن استطاع فابْيو الحفاظ على توازنه، التحكّم في الهواء، والتجوُّل عبر المدينة، صارت الدرّاجة ملكه. رغم أنها كانت بلون السلمون وقطعت أمه تلك الشرائط البنفسجية في المقود يوم ذلك الأربعاء صباحًا الذي أصبح بعيدًا جدًّا.

كبُر فابْيو وهو يركب دراجته؛ كبرت ساقاه وصارتا نحيفتيْن لكن قويّتيْن، كما كبرت عيناه اللتان صارتا تريان أكثر، صار سمعُه أكثر حدة، وامتلأت يداه

بالجُسوء وصارتا قويّتيْن مثل أشجار البلّوط. لكن، كما كبرت الساقان، ازدادَ الخوفُ. كان فابْيو يعرف أن ثمة لحظات يجب عليه أن يُدوّسَ بقوة كي يهرب من الخطر، ومن الأزقّة المُعتمة الفارغة. لم يكن فابْيو طفلًا جبانًا قط لكنه كان يشعر دائمًا في جسده متى تأتي لحظة الفرار، وهو أمر، في مدن مثل بوغوتا، مناسب وضروري (والحقيقة أنه مناسب وضروري).

كان الحيُّ الذي يعيش فيه فابْيو دائمًا مليئًا بالغبار. كانت أمه تقول إنه كذلك لأنه حيٌّ في طور البناء. وبما أنه كان يجب عليهم أن يهدموا من أجل البناء، فإن الغبار هو ذكرى الأشياء التي كانت من قبل وتنتظر الآن أن تتحولَ إلى أشياء جديدة. وبما أنها وُلدت من رحم خُططٍ فاشلة، كانت بوغوتا غولًا من غبار يشعر بمزيد من الجوع.

كانت آنا تقولُ إنَّ حيّ فابْيو كان قريةً تقع في ضواحي المدينة، لكن الغول كبُرَ فالتهمَ القرية وقُرى أخرى صارت جزءًا منه في النهاية. كانت الشوارع تميل فوق حافة تلٍّ، وما كان من قبل واسعًا مُضيئًا صار أكثر فأكثر ضيقًا وعتمةً. لكن الخطأ لم يكن خطأ الغول بل خطأ الناس الذين كان لهم أولاد وكان لأولادٍ أولادهم أولاد، خطأ الأشخاص الذين لم يكتفوا بأسْرة واحدة فاحتاجوا لأسرتيْن أو ثلاثة، خطأ العُمال الذين كانوا بحاجة ليتدربوا ويُوسعوا بيوتهم كي يصبحوا عُمالًا أحسن تأهيلًا.

كانوا يسمون ذلك "وضع الأخشاب"، وكان فابْيو يتخيَّل كل الجيران يجلبون أخشابًا ويصقلون سقوف البيوت حتى لا يبقى فيها ولا تجعُّد واحد، لأنها ستكبر الآن. حيثُ كان يجري من قبل نهرٌ هناك الآن شارعٌ مُتصدِّع والجيران يجلبون قدورًا وقنانا مليئةً ليروا الشقة الجديدة ويحتفلوا بها. يكبر المنزلُ والحيُّ والمدينةُ. لم يعد أحد يتساءل الآن مَن يكون ذلك الغول الذي يسمونه بوغوتا ومن المسؤول عن كبره بكل ذلك الحجم.

في حيّ فابْيو وضعوا كثيرًا من الأخشاب حتى إن النباتات لم تعُد تجد ضوءًا لتنمو، وهذا ما يجعل الغبار أكثر اغبرارًا والبرد أكثر بردًا. لحُسن الحظ، هناك الحديقة، حيث ينمو العشب حُرًّا طليقًا لأنه ليس هناك أيُّ ظلٍّ تقريبًا. وكانت الحديقة فيما مضى مرعى مهجورًا، وحين كبرت المدينة صار هو القطعة الوحيدة التي تنمو فيها الأعشاب خضراء متوحشةً، فقرروا أن يتركوها كما هي وسموها حديقة.

كان كلُّ حيّ فابْيو تقريبًا عبارة عن مُنحدَرٍ، يصعدُ وينزل وفق انحناء التلّ الذي يستريح فوقه. إن ترك أحدُهم نفسَهُ يسقطُ نحو أسفل التّل فإنه يصل إلى المقبرة القديمة، قطعة أرضية واسعة تُستَعملُ اليوم باحةً لوقوف حافلات بوغوتا، التي تستريح هناك عندما لا تتحرّكُ عبر أحياء المدينة.

أمام استغراب فابْيو، كان الحيُّ الذي يعبره بدرّاجته أكثر ضوءًا، أكثر حرارةً، أكثر انفلاتًا، أكثر عذوبةً، وأقْربَ إلى الطيور منه إلى الأقفاص. عندما يمتطي درّاجته، كان الغبار يرقص معه، يرتفع في السماء بعنف فقط ليجده قد ذهب. لا شيء كان يستطيع أن يلحق به، حتى الزوابا الأكثر وسخًا وعتمةً في بوغوتا كانت ترتفع مثل أمواج من غبار وهي تراه يمُرُّ. كان فابْيو يعرف كيف ينفلتُ، وبيته كان دائمًا على مسافةِ دوّاسَةٍ واحدة.

وما إن توقف فابْيو عن المشي (توقف عن المشي لأن وسيلته الوحيدة للتنقل كانت هي درّاجته) حتى بدأ أطفال وطفلات آخرون يتبعونه. منجذبين وراء شائعات الجيران الذين كانوا يتحدثون عن فابْيو، نصف طفل ونصف درّاجة، يستطيع أن يُدوّسَ نائمًا، قادر على التحكم في العجلتين بذهنه، وجدت زمرةُ أطفالِ الدرّاجات زعيمها. كانوا يقولون: فابْيو لا بيت له، يكتفي بدرّاجته. كانوا يقولون فابْيو من مطّاط، لا تكسره أي سقطة. كانوا يقولون فابْيو ابنُ هيكاتي [2]، إلهة العَجَلة. كانوا يقولون قدما فابْيو لم تطآ قط، لم تطآها قطّ.

في السرّ، كان فابْيو بدروه يخشى هذه الزمرة من الأطفال الذين يتبعونهُ دون هوادة. كان يخشى بابلو، وكارمن، وغوادالوبي وفْران، الذين كانوا غير عابئين وهم يهاجمون الشوارع مُندفعين، وقادرين على القيام بأي نوع من أنواع التمارين، لا يهابون أي شيء. يمكن أن تكون دراجاتهم أي حيوان من الحيوانات، حصانًا من خيول جنكيز خان، نمرًا من البنغال، أو آخر ديناصور نجا من الانقراض. كان فابْيو دائمًا هو أسرعهم، وإن كان هذا يجعلهم يتبعونه، كان يعني أيضًا أنه بمجهود بسيط يستطيع أن يترك الزمرة خلفه.

هكذا، كما لو أنه مع تدْويس الدرّاجة كانت تتسارع الأيام أيضًا، انقضت ثلاثة أعوام كاملة. ثلاثة أعوام، كأنها تؤكد ما يُروَّج على لسان الجيران من شائعات، لم تطأ خلالها قدما فابْيو الأرض.

وبقدر يقينه من القدرة على الهروب، بما أن فابْيو لا يُقهَر، كانت قليلةً تلك المرات التي هرب فيها بالفعل. لكن، فقط في حال ما إذا كان فابْيو يذهبُ إلى المدرسة، يعود على متن درّاجته ويوزعُ الخبز الذي تصنعه أمُّه على سكّان الحيّ.

كانت آنا تقول إنها ليست خبَّازة، لكن بإمكانها أن تكون كذلك لو شاءت. كانت تصنع خبزًا عذبًا عذوبةَ يديْها. كان فابْيو دائمًا يعتقد أن أمه خبَّازة، ولو قالت إنها ليست كذلك. ما الذي يجعل خبَّازًا ما خبَّازًا بالفعل؟ لم يكن يظن أن آنا قضت كل حياتها في صنع الخبز دون أن يستطيعوا أن يُسمّوها خبَّازة، لكنها لم تكن تحب مثل هذه المُسمَّيات.

قبل صناعة الخبز، كانت آنا قد قضت أعوامًا في التنظيف والطبخ في منازل أشخاص لا يعرفون كيف ينظفون بيوتهم ولا كيف يطبخون أكلهم. كان آخر بيت اشتغلت فيه في ملك سيدة أنيقة للغاية تسيل الدموع من عينيها كلما أكلت خبزًا بالأفوكاتو. لم تكن آنا تنزعج لأن السيدة تبكي عندما تأكل الخبز، بل تنزعج حين تخفض لها صوت المذياع وتطلب منها ألا تُغنِّي. كل شيء بوقته، سيدتي، وفي مطبخي لا أفعل شيئًا إن لم أرقُص. وهكذا سرَّحوها من العمل، فبدأت آنا تصنع الخبز لسكّان الحيّ وتنظّف بيتها الخاص، ترفعُ صوت المذياع عاليًا جدًّا وهي ترقص طوال الوقت.

كانت الموسيقى المُفضَّلة لدى آنا هي إلباڤْشاتا [3] التي يؤديها شخصٌ ما في المذياع واسمه روميو. أحيانًا تقول إنها أُغرمت بروبيرْتو، والد فابْيو، لأنه في شبابه كان يُشبه روميو. كان فابْيو قد سمع في المدرسة حكاية روميو وجولييت، ويُسعده أن أمه لم تذهب مع روميو وهي الآن أمه. فحكاية روميو وجولييت لا تنتهي بشكل جيد.

كان فابْيو يحمل طلبات خبز إلى أليسيا، أو "ماليسيا" كما كان يُسميها الجميع. كل ما كان يعرفه فابْيو عن الجارة أنها تأكل كثيرًا من الخبز، لها اسم قروي، وأمها بدوية. لماذا؟ لم يكن فابْيو يعرف ذلك، كانت تعيش وحدها، ويبدو أنه لم يكن لها أي ابن.

- لقد اعتنت بنا كما لو كنَّا أبناءها الحقيقيين، يا فابْيو - قالت له آنا ذات يوم.

- لكن، لماذا يسمونها ماليسيا؟ هل هي خبيثة [4]؟

- طبعًا، لا، يا فابْيو. أليسيا أطيب من الخبز، إنها أمٌّ.

- إن كانت أمًّا فلماذا لا يناديها أبناؤها ماما؟

- لأنه لا تملك أبناء يقولون لها ماما، لذلك نفعل نحن ذلك الأمر.

- ولكن أنت أمي، وأنا لا يمكن أن تكون لي أُمّان اثنان.

- طبعًا، يمكن أن تكون لك أُمَّان اثنان. من أين جئت بهذا الكلام؟

كانت كل الأحاديث مع آنا تقريبًا تنتهي بأسئلة لا يجد لها فابْيو جوابًا. هكذا كان يتحدث والدا فابْيو، من خلال الأسئلة. أحيانًا، يقضيان ليالي بكاملها يصرخان أسئلةً ولا أحد منهما يعطي أي جواب. إلى أن يناما، مُتعَبيْن من فرط الشَّك. لكن، أحيانًا، لا تملك آنا رغبة في طرح أسئلة طوال الليل، خاصة وأنها تعرف أنها لن تحصل على أي جواب، فتستسلم وتعتبرُ روبيرْتو مُحقًّا فيما يقول. لا شيء على وجه الأرض يجعل روبيرْتو أكثر حزنًا، لكن آنا لا تعرف ذلك. فالحقُّ تاجٌ يضعونه على رؤوس الناس الذي يعيشون لوحدهم من دون أصدقاء. وروبيرْتو في حد ذاته رجل وحيد جدًّا، لا حاجة له بأن تُسْكِتَه امرأةٌ حياته بتاجِ الحقّ الذي لا يُرى. كان روبيرْتو يُفضِّل أن يعيش دهرًا في طرح الأسئلة، بدلَ ثانية واحدة يكون فيها على حقّ. لكنه لم يخبر آنا بهذا الأمر قطّ، وبما أنه لم يخبرها به، فإن آنا لا تعرفه.

في تلك الفترة، لم يكن فابْيو يرى بعد أنه من الفظيع أن يكون المرء على حق، وهو ما يحبه الأطفال في سن العاشرة. عندما سينسى فابْيو كيف يركب الدرّاجة سوف يحتقر كل اللحظات، وكانت قليلة، التي اعتبرت فيها آنا أنه

كان على حق. كما حصل في تلك المرة، يوم اعتقد فابْيو أنه يملك القدرة على أن يجعل الوقت ينقضي بشكل أسرع فقالت له:

- فابْيو، لا شيء أكثر حقيقةً من هذا الأمر.

عندما سينسى فابْيو لنْ يرغبَ في أن يكون على حق، سوف يبحث عن الحقيقة وسوف يشعر أن أمه تكذبُ عليه.

لكن فابْيو لم يكن يعتقد ذلك يوم تعرَّف على أليسيا، لأن فابْيو لم يكن قد نسي أي شيء. المشكلة في حمل الخبز إلى أليسيا أنَّ فابْيو لم يكن يستطيع أن يقوم بذلك على متن درّاجته، بل كان عليه أن يذهب مشيًا على قدميه لأن أليسيا تسكن في البيت المجاور بالضبط. كان ذلك يُعكِّر مزاج فابْيو، يُزيل كل متعة عن عمله. لم يكن يشعر أنه ماهر وهو يحمل كيس الخبز في يدٍ ويمسك مقود الدرّاجة بيدٍ أخرى، لا يستطيع أن يلوِّح بالكيس في الهواء وينشر رائحة الخبز الطازج الذي تصنعه أمه في كل أرجاء الحيّ.

كانت عمليّة تسليم الخبز تتمّ دائمًا على نفس المنوال. يطرقُ فابْيو باب البيت المُجاور، فتُطِلُّ أليسيا بوجهها والباب ما يزال مغلقًا بالقفل. كانت عيناها كُرَتَيْ بِلّيٍ يحجبهما بحرٌ من التجاعيد. كان شعرها رماديًّا مثل ستار مُتَّسِخ.

كان فابْيو واثقًا من أن والديْ أليسيا قد أنجباها بكثير من الجِلْد الزائد عن الحاجة. كان جسدها صغيرًا ولكن جِلْدها، لو تمدّد، قد يُغطي بُلدانًا بكاملها. لا بُد أن والديها قد أنجباها بهذا الشكل ثم قرّرا بعد ذلك أن يطوياها ملايين الطيَّات الصغيرة حتى تستطيع أليسيا أن تتحرّك عبر العالم بكل سهولة.

- آه، يا بُنَيّ! - كانت تقول وهي ترى فابْيو - إنك أنت.

- أنا لست ابنك، يا ماليسيا - كان يقول فابْيو خوفًا من أن يحسبه الآخرون شخصًا آخر.

- هذا صحيح، يا فابْيو، معك حقّ - كانت تُجيبه أليسيا وهي تفتح الباب وتأخذ حِصَّتَها من الخبز.

يوم نسيَ فابْيو كانت الشمس تسطعُ قاسيةً. استيقظ مثل كل يوم أحد ليُشحِّم سلسلة الدرّاجة قبل توصيل الخبز إلى الجيران.

- أريدك أن تذهب أولًا إلى بيت ماليسيا - قالت له أمه - لم تتصل بي هذا الأسبوع وأريد أن أعرف إن كانت بحاجة لأي شيء.

- ولكني حضَّرتُ درَّاجتي - أجابها فابْيو غاضبًا.

- لا يهم، خذها معك وامش على قدميك، ولا تنس الخبز.

لا شيء كان يبدو لفابْيو أكثر سخافةً من أن يمشي وهو يدفع دراجته إلى جانبه. قبل أن يغادر البيت، يتمنى فابْيو لأليسيا كل أنواع الأمور الفظيعة؛ ليتها زالت تجاعيدُها، ليتَها تعثَّرتْ في جِلْدها وسقطتْ، ليتَ عينيها البِلْيِيْنِ تدحرجتا على الأرض. لأنه، أولًا، لا يليق بزعيم زُمرة أطفال الدرّاجات أن يطَأ الأرض. المشي على الأقدام شيء دنس، وخصوصًا إن كان غير ضروري. المشيُ يجعل فابْيو يشعر أنه مثل حمامة من حمام المدينة، تنقر القاذورات بينما بوسعها أن تُحلِّق فوق السطوح. لذلك قرّر فابْيو أن يذهب حيث أليسيا على متن الدرّاجة. إنه أمر سخيف، وهو يعرف ذلك، لكن الأشدّ سخافةً من ذلك هو أن يدفع الدرّاجة إلى جانبه وألّا يستعملها.

كان فابْيو يحملُ كيس الخبز معلقة بذراعه، قدمٌ فوق الأرض وأخرى على الدوّاسة. سوف يقطع ثلاث بلاطات من الإسمنت كي يصل إلى بيت أليسيا، يُسلمها الخبز ويسألها عن أحوالها. سوف تُجيبه، لكن فابْيو لن يركز كثيرًا معها، سيكون بصدد التفكير في ركوب درَّاجته مرة أخرى، وسيفعل، حالما تنتهي من كلامها وتتركه ليخرج من جديد إلى الشارع، إلى شارعه، شارع فابْيو، حيّ فابْيو، في ركن صغير من بوغوتا فابْيو، في عالم هو عالمُ فابْيو عندما يجوبُه. هذا هو ما سيحدث، هذا هو ما كان ينبغي أن يحدث.

ضرَبَ الأرضَ بقدمه اليُسرى وصعد فوق الدوّاسة، دفع الدرّاجة بحزم لكنه فقد توازنه، فقد السيطرة على المقود، كما فقد أيضًا كيس الخبز الذي طار في الهواء، وصار طعامًا مُستقبليًّا لطيور الحمام التي تبدو غبيةً لفابْيو. سقط فابْيو.

لقد سبق لفابْيو أن سقط مئات المرات منذ أن تعلّم كيف يركب الدرّاجة. لكنه يشعر أنه مختلف هذه المرة، ينقصه شيء ما، شيء ما ليس في مكانه. وقف قرب الدرّاجة وأمعن النظر فيها، لاحظ بعناية السلاسل، حبال المكبح، كان كل شيء يبدو على ما يرام. لذلك قرر أن يركب مرةً أخرى.

يمكن أن يذهب إلى بيتهم بحثًا عن مزيد من الخبز، يقرع جرس بيت أليسيا ليرى إن كانت بخير، ويسلم الخبز لباقي الجيران. لكن هذه لم تكن هي الخُطّة، لم تكن قط هي الخُطّة، والخُطّة هي الدرّاجة. أهم شيء الآن هو أن يركب من جديد. أهم شيء هو أن فابْيو قد سقط، والسقوط لا يجب أن يكون آخر شيء يفعلُه المرء.

قدمٌ فوقَ دوّاسةٍ وأخرى على الأرض، يندفِعُ فابْيو، يتحرَّكُ، يضغط على الدواسة، يحافظ على التوازن. يبدو الأمر سهلًا، لكن فابْيو لا يستطيع، يسقط مرة أخرى. يفكر في أمه فيسقط، يسمع صوت الحافلات فيسقط، يشتمُّ رائحة المدينة فيسقط، ينظر إلى الخبز فوق الأرض فيسقط، عند باب أليسيا، المُغْلق، يسقط، أمام بيتها، يسقط، يسقط. الدوّاسةُ تكشطُ الإسمنت، مِرْفقا فابْيو يدميان. عرف كيف يحمي نفسه باليدين، بالركبتين، بالذراعين، يحاول أن يُنوّع أشكال السقطة حتى تكون النتيجة مختلفة، وأن يُعيده الأسفلت بطريقة سحرية إلى الدرّاجة التي لا تريد أن تُطيعه فجأةً. أرضيّةُ بوغوتا خدشت جلده حتى جعلته يدمي. بوغوتا الغبار، بوغوتا في طور البناء، بنتُ الفوضى، رؤيةُ لا أحد.

كيف يُعقل أنه لا يستطيع ركوب الدرّاجة؟ فابْيو يتوجَّه نحو الحديقة يدفع الدرّاجة بيده، وهو ما يزال يحمل كيس الخبز، الذي صار فارغًا الآن. يلتقي آليكس ويطلب منه، لو تفضل، أن يركب دراجته.

قبِلَ آليكس الطّلب دون تردُّد، أمسك المقود وارتمى ببراعة فوق المقعد، قام بجولة حول الحديقة وعاد. انتزع منه فابْيو الدرّاجة باستياء. اقتربت الآن طفلةٌ كانت جالسة فوق الأرجوحة. لم تكن الطفلة من زمرة أطفال الدراجات، تُغطّي كل وجهها تقريبًا قطعةُ ثوب كبيرة، رغم الشمس.

- اسمعي، أيتها الطفلة، هل يمكنك أن تركبي دراجتي؟

نظرت إليه باستغراب، وتحت الثوب كان من الممكن رؤيةُ جلدٍ ناصع جدًّا حتى إنه يُشع بنور خاص. عينان كبيرتان مدورتان بلون الكاراميل سرعان ما تفقدان الاهتمام به وتحدقان في الدرّاجة. لم تُجبهُ الطفلة. بدأت عيناها تلمعان أكثر من جلدها وصارتا بئريْن من الماء العذب. لا يعرف فابْيو إن كانت تستطيع أن تسمعه، هو يعاني من الخدوش، مُتعَب وقد بدأ صبره ينفد.

- سألتُكِ إن كنت تستطيعين أن تركبي درّاجتي.

نظرت إليه الطفلة مرة أخرى، والبئران دائمًا على وشك أن يفيضا، خزّانيْن من الكاراميل لا يُسيطر عليهما سوى الهواء. دون أن تفكر مرّتيْن، قفزت الطفلة فوق المقعد وبدأت الدرّاجة تتحرك بمجرد اندفاع ثقل جسدها. لم ير

فابْيو قطّ شخصًا آخر يركب دراجته بمثل تلك الطريقة. أو ربما رآه، نعم رأى نفسه في انعكاس مياه البِرَك. كانت الطفلة تسند كل ثقلها على المقود وتنهض من فوق المقعد، كأنها تتسلَّقُ الدوّاستيْن. انعطفت انعطافًا حادًّا جدًّا حتى إن الدرّاجة بدت، لمدة جزء من الثانية، كأنها تستند على الأرض، فانحنت الطفلة على المقود وانطلقت بسرعة أكبر من سرعة السيارات. قامت بدورة، دورتين، ثلاث دورات حول الحديقة قبل أن تعود إلى فابْيو، الذي كان يعيش أغرب يوم في حياته.

- أين، أين تعلّمتِ... - بدأ فابْيو يقول قبل أن يتردّد في أجواء الحديقة صدى الصوت الجهوري لبائع الفواكه.

- مارينااااااا

- تعجبني شرائط المقود - قالت مارينا قبل أن تعدل قطعة الثوب على وجهها وتنطلق مهرولةً بسبب صيحةِ أبيها الغاضبة. كان صوتُ الطفلة مفاجأة، لأن فابْيو لم يكن يتوقع أن تتكلم؛ ربما كان ينتظر منها أن تتبخر في الهواء، لكنه لم يكن ينتظر منها أن تقول أي شيء.

أخذ فابْيو الدرّاجة، ولأول مرة منذ وقت طويل ظلَّ جامدًا. ربما لم تكن الدرّاجة في ملكه قطّ. ربما لا يملك أي شيء في نهاية المطاف. توقف بابلو قربَ زعيمه، وشيئًا فشيئًا جاءت كارمن، وآليكس، وغوادالوبي، وفْران ثم جاء بقية أطفال الزمرة وتحلّقوا ليروا فابْيو، صافيًا، هادئًا، منهزمًا لأول مرة. لم تستسلم الزمرة وراح كل واحد، طفلًا كان أم طفلة من الحيّ، يعرضُ على فابْيو درّاجته ليُجرّبها. مُرْتابين، مُجْبرين، كان بعضهم يريدون أن تُعيد دراجتهم للزعيم سحرَهُ، وآخرون يريدون أن يروه يسقط. كانت درّاجة آليكس هي آخر درّاجة يجربها، فقرر فابْيو، الذي صارت تُغطيه قشرة أكثر فأكثر سُمْكًا من الدم، والعرق والوحل، أن المرة القادمة التي يسقط فيها ستكون هي آخر مرة.

مثل موكب من المؤمنين في رحلة حجٍّ، صعدوا جميعا إلى أشدّ منحدر في الحيّ وأمسكوا درّاجة آليكس الخضراء حتى يجلس فابْيو فوق مقعدها.

- مستعد، عندما أقول ثلاثة أطلقوني - قال فابْيو لأصدقائه.

واحد،

اثنان،

ثلاثة.

بقدميْن هادئتيْن فوق الدوّاستين، تدحرج فابْيو؛ بيديْن متمسكتيْن بالمقود، تحرّكَ فابْيو. الريح التي كانت تهب على وجهه، نظّفت الغبار، والدموع والوحل.

- دَوِّسْ! - صاح فيه آليكس.

- دَوِّسْ، يا فابْيو! - صاحت الزُّمرةُ.

حاول فابْيو أن يُدَوِّسْ لكن الدوّاستيْن كانتا أكثر سرعةً منه، لم تتعرّفهُ الدرّاجة فراحت تضرب ساقيه في حركة رفض. خرج الجيران من بيوتهم رغبةً في رؤية فابْيو يسقُط. أين كان أبوه عندما كان هو بحاجة ليتحرّك؟ لم يفهم فابْيو. ارتعشت الدرّاجة، وتحركت العجلة الأمامية كأنها تريد أن تُحلِّق حُرّةً طليقةً دون ارتباط بقيود المعدن. اتكأ فابْيو بكل ثقله على المقود. إنه أنبوب حديدي يستند إلى أنبوب آخر مشدود إلى عجلتيْن. كيف يمكن أن يفعل ذلك لسنين طويلة ثم ينساه هكذا؟

"السرعة تساوي المساف مقسومة على الزمن" فكّرَ فابْيو، دون أن يعرف ما يعنيه ذلك. تعثّرت العجلة الأمامية عند شقٍّ قبل نهاية المنحدر بالضبط، قبالةَ المقبرة القديمة، شوارع بوغوتا المرصوفة بالحجارة، شوارع بوغوتا المُعطّلة، مدينةُ لا أحد، فخٌّ قاتل. طار فابْيو، حلَّقَ في الهواء لمدة عشر ثوان. وهناك حيث تنتهي ذاكرة الأسماك ينتهي أيضًا الهواء وتبدأ الأرض، الأرض التي يرقد فيها الآن فابْيو، بعد أن صار في حالة سيئة، مُنهزمًا.

رفعَهُ أصدقاؤه فوق أكتافهم، نفضوا عنه الغبار، نظَّفوا وجهَه وتعاونوا فيما بينهم وحملوه إلى بيته. هدِّئْ من روعكَ يا فابْيو، قالوا، لم يحدث أي شيء يا أخي. من الأحسن ألاّ تستمرّ في المحاولة.

ربما هناك أشياء أهم من ركوب الدرّاجة، لكنها لا تخطر على بال فابْيو. ما الذي يمكن أن يكون أهم من التحرُّك؟

من الباب، استطاع فابْيو أن يسمع أمه تغني:

جدّي رأى التايتانيك يغرق في البحر،

وروميو ليس من حديد ولا هو خالدٌ.

بيدين فوق الدرّاجة غير النافعة بلون السلمون، دخل فابْيو إلى المطبخ.

- فابْيو! ماذا حدث لك؟ - سألتهُ آنا وهي ترى ابنها مُغطًّى بالدّم والغبار.

لكن فابْيو لم يعد قادرًا على الحركة، وبما أنه لم يعد قادرًا على الحركة فإنه لم يعد قادرًا على الكلام أيضًا. كانت سحابةُ غبار تتسرَّب عبر حلقه وتُحَجِّرُ بقية جسده.

- فابْيو، كلِّمني، ما الذي حدث لك؟ - ثم بدأت آنا تُنظّف، واحدًا تلو الآخر، جُروحَ فابْيو بخرقة المطبخ.

- نسيتُ كيف أركب الدرّاجة، يا ماما.

- لا تكن سخيفًا، يا فابْيو، هذا أمرٌ لا يُنسى.

لم يعد فابْيو، الآن، يعرف ما يفعله بالوقت. يقضي اليوم بكامله ينظف الدرّاجة التي لم يعُد يستعملها، ينظر إليها، يجلس عليها دون أن يركبها. يُفزعه أن يخرُج ليوزع خبز أمّه. المدينة معاكسة وعدائية، كثيرة السرعة بالنسبة إليه لأنه يسير ببطء كبير، وأكثر شساعةً بالنسبة إليه وهو من دون العجلتيْن.

لم يعد من وجودٍ لفابْيو السريع. فابْيو، هل أنت ذاهبٌ؟ فابْيو، هل ذهبْتَ؟ ومكانهُ كان هناك طفلٌ يمضي اليوم يتأمَّلُ ساقيْه. عظْمُ الفخذ، عظْمُ القصبة، المأبِضُ. يبحث عن خطأ يُصلحه. من الصعب جدًّا فهمُ حزن فابْيو، لأن هناك قليلًا من الناس في هذا العالم ممن نسوا كيف يركبون الدرّاجة.

لا يفهم فابْيو لماذا كذب عليه أبواهُ. لكن، عندما يخرج روبيرْتو للعمل ويرى فابْيو جالسًا على الدرّاجة بلون السلمون (مصدر كل قوة فيما مضى) كما لو كانت كرسيًّا أخرق، يستحيلُ وجهُه مزيجًا من الاضطراب والحسرة، لذلك قرّر فابْيو ألّا يطالبه بأي شيء. ويذهبُ، يذهبُ أبوه كما ذهب دائمًا، ينقلُ أهْلَ بوغوتا من طرف إلى طرف آخر من العاصمة، لأنه لا بُد أن يقوم أحدٌ ما بها الأمر.

اليوم، صار غبارُ المدينة جدارًا حاجزًا يحبسُ فابْيو داخل بيته، وهو ذكرى ما كانهُ فابْيو ولم يعُد. ذهب أطفالُ الزُّمرة يبحثون عنهُ في بعض الأحيان، لكن فابْيو كان يرفض أن يروه يمشي. بوغوتا لم تعُد مدينته، ودرّاجتُه لم تعُد درّاجتَه، أو ربما لم تكن كذلك قطّ. أرادَ فابْيو أن يسأل أمَّه عن طفلة الحديقة

لكن كلما دنا منها كان يمنعه جسده من ذلك. ربما لا يريد أن يعرف. فابْيو حزين وآنا، التي لا تعرف ما تفعله بحزن ابنها، قرّرت أن توزع الخبز بنفسها، بينما يبقى فابْيو في البيت رفقةَ ماماليسيا.

- آه، يا بُنيَّ - تقول أليسيا وهي ترى فابْيو - هذا أنت.

- أنا لستُ ابنك، يا ماليسيا - يقول فابْيو، وقد ملَّ من تصحيح كلامها.

- هذا صحيح، يا فابْيو، معك حقّ - تُجيبه وهي تفتح الباب كي يدخل فابْيو إلى بيتها الضيق الذي يفوح برائحة الخبز، مثل بيت فابْيو.

بيتُ أليسيا يعجُّ بالأشياء حتى إنه يبدو مثل مستودَع للأشياء القديمة. فابْيو، الذي يُتقنُ الحساب، استطاع أن يُحصي عشرة مراوح انطلاقًا من الباب. هناك عدد لا يُحصَى من القُبَّعات التبنيّة في كل أرجاء البيت، وعلى الحائط عُلِّقت مجموعة من المراوح - لا بُدَّ أن هناك مروحة لكل لون موجود، فكّر فابْيو مندهشًا - وسط القاعة هناك مائدة فوقها شكلٌ بلاستيكي، يبدو أنه لعبة، عبارة عن رجل له لحية بيضاء، يرتدي ملابس حمراء، يحمل في يده اليُسرى كتابًا، وإبهامُه يلمس الإصبع الأوسط من يده اليُمنى. هناك أطراف خيوط تُغطي الشكل البلاستيكي الذي يُمثِّل الرجل ذا اللحية، وقد يعتقد فابْيو أن أطراف الخيوط قطعٌ من لحيته تسقط منه لأن لحيته قوية ولامعة مثل بقية جسده. ومن كل قطعةِ أثاثٍ تتدلّى قطعةُ ثوبٍ رقيقة تتشكَّل من ثقوب صغيرة، فيبدو بيت أليسيا عبارة عن سيرك شفّاف مُقسَّم إلى عدة خيام.

- إنها ناموسيات - قالت له أليسيا - لديَّ الكثير منها.

- ولماذا تصلحُ؟

- كي لا تلسعك الحشرات.

لم يفكر فابْيو قطُّ أنه قد يحتاج إلى ناموسية، ربما لأنه في بوغوتا فابْيو لا تُرى كثير من الحشرات. بضعُ ذبابات صغيرة ذات أرجُل طويلة لم تؤذ أحدًا قطّ. لكنه لم ير حشرات.

- ألمْ تجلب معك الدرّاجة؟ - سألت أليسيا فابْيو، بينما راحت تنزع بيديها المُجعَّدتين أطراف خيوط الناموسية الأقرب إليها.

- نسيتُ ذلك - أجابها فابْيو في خجل، بينما كان يلاحظ قدميْ العجوز. كانت تنتعل شباشب من دون الجوربيْن، ولا بُد أنها كانت تشعر بكثير من البرد، فكّر.

- لماذا؟ أين تركتَها؟

- نسيتُ كيف أركبُ الدرّاجة.

- كلامٌ، يا فابْيو، مُجرّدُ كلام، هذا شيءٌ لا يُنسَى أبدًا - قالت أليسيا، وهي تضم الآن كل أطراف الخيوط التي جمعتها لتصنع منها نسيجًا من الأبواغ.

- ما ليس صحيحًا هو أن المرء لا ينسى، لأن المرء ينسى، وأنا نسيتُ.

توقفتْ أليسيا ونظرتْ في صمت إلى فابْيو.

- واحدة أخرى - قالت وهي تضعُ كرةً كاملةً من نسيج الأبواغ قرب تمثال القديس ذي اللحية، مع بقية الأنسجة من نفس النوع. قالت أليسيا ذلك بصوت خفيض جدًّا حتى إن فابْيو ظنَّ أنها ربما كانت تتحدث في ذهنها.

- هل كذبوا عليكِ؟

- لقد كذبوا عليّ كثيرًا، يا فابْيو، حتى إنني صرتُ أعدُّ حقائقي على رؤوس أصابع يدي اليُسرى.

- وما هي؟

- لا أستطيع أن أقولها لك، إنها لي أنا.

- من فضلكِ.

- سوف أقول لكَ واحدة لأنني أظن أنك تعرفها - ثم اقتربت أليسيا من فابْيو، رفعت إبهامها ووضعته بين عينيْ الطفل بالضبط: العالم يكذبُ.

- من كذب عليكِ؟

- ألبرتو، زوجي، كان يكذبُ عليّ طوال الوقت.

لم يفهم فابْيو، ومن الصعب أن يصدق أن أليسيا كان لها زوجٌ. هذا ما يحدث للأشخاص الذين يعيشون لوحدهم، يبدو أنهم عاشوا دومًا لوحدهم، كأنهم كذلك.

- وأين هو زوجكِ؟

- إنه ليس هنا، مات. لكنه ترك لي هذه الحقيقة، حقيقة إصبع الإبهام، الضخمة بحجْم جسَدِهِ. انظر، إن أطلْتَ النظر في إصبع الإبهام تستطيع أن ترى صورة ذلك الأبْله الأكْرش.

لم يطْرَح عليها فابْيو مزيدًا من الأسئلة. آوتْهُ أمُّه ساعتيْن بعد ذلك، جلس خلالهما لوحده تحت ناموسية الأريكة يتابع كيف تسافر قطعُ الغبار من أثاث إلى آخر، لتكون في المستقبل نسيجًا يلفُّ تمثال القديس أثناسيوس [5]، اللعبة

الوحيدة التي تتوفر عليها العجوز في بيتها. إن كان لا يستطيع أن يتحرّك عبر المدينة فإنه يستطع على الأقل أن يرى كيف تتحرّك الأشياء. أليسيا تتحرك بما يكفي، رغم أنها تتحرك ببطء، ترتعش من البرد طوال الوقت وتغير الأشياء من مواقعها كأنها تُعيد ترتيب الديكور.

في تلك الليلة، سأل فابْيو أمه عن زوج أليسيا.

- منذ مدة طويلة وهي تعيش لوحدها، يا فابْيو، يقولون إن زوجها قد تركها.

- تركها؟

- نعم، ذهب ليعيش في الساحل، قرب البحر.

- قالت لي شيئًا غير هذا - صاح فابْيو، ثم جرى ليختبئ تحت السرير، وهو يخشى أجوبة أمّه الغامضة. منذ أن نسي كيف يركب الدرّاجة، صار أحسن مخبأ يلجأ إليه فابْيو هو تحت سريره. بما أنه لا يستطيع أن يهرب من الأشياء بالضغط على دوَّاسة دراجته، فقد قرّر أن يختبئ منها. فتحْتَ سريره يختبئ فابْيو من أكاذيب العالم، وهناك يصبح العالم صغيرًا، صغيرًا جدًّا، حتى إنه لا أحد يستطيع أن يكذب.

- اخرج من هنا، يا فابْيو! ألا ترى أن هناك غيلانًا؟ - يقول له والدُه حين يعود من العمل.

يشعر فابْيو بالخوف، ولا يرى هناك أيّ غول، لكن المكان مُظلم جدًّا فلا يشعر بالأمان. من قال إن كل ما يسكن تحت الأسرَّة فظيع؟ لا بُد أنه نفس المُهرّج الذي ابتكر فكرة ذاكرة الجسد، ذلك الذي قال للجميع إنه لا يمكن للمرء أن ينسى كيف يركب الدرّاجة. وبعد أن فكّر في الأمر لحظةً، خلُص فابْيو إلى أن هناك غيلانًا تحت سريره.

هناك غولٌ، اسمه فابْيو ويختبئ من العالم.

كان لآنا شقيقتان تشتغلان خارج بوغوتا. تعيشان في فوساغاسوغا، قرية يبدو لفابْيو أنه من الصعب النطقُ باسمها. كانتا تشتغلان في بيت كبير يقع قرب القرية. وقرب فوساغاسوغا كانت هناك منازل كبيرة جدًّا يسكنها أشخاص يأكلون كثيرًا من الطعام. يعتقد فابْيو أن من يسكنون تلك البيوت لهم أرواحُ عمالقة محبوسة في أجساد صغيرة جدًّا. أسقُفُ بيوتهم عالية جدًّا، أسِرَّتها واسعة، وبوّاباتها تبدو مثل أبواب المآرب؛ ينظرون إلى وجوههم في مرايا تشغل جدرانًا بكاملها ويستحمون في مسابح عبارة عن أحواض أو حمامات دُشّ. ولهذا بالضبط يحتاجون لامرأتيْن تحضّران لهم كميات كبيرة من الطعام، طعام العمالقة. في نهاية هذا الأسبوع، قرر العمالقة تنظيم حفلة كبيرة دعوا إليها أصدقاءهم العمالقة، ولهذا فإن شقيقتيْ آنا، كل واحدة بيديها الاثنتين، لا تكفيان. لذلك قررتْ آنا أن تذهب طوال نهاية ذلك الأسبوع لتساعد شقيقتيْها، وبما أنها تخشى أن يمضي فابْيو كل نهاية الأسبوع تحت السرير بينما روبيرْتو ينظر إليه بِحَيْرة وأسف، فقد قرّرت أن تأخذَهُ معها.

صنعت آنا من الخبز ما يُطعِمُ جيشًا بكامله وتركت طعامًا وملاحظات لأب فابْيو في كل أرجاء البيت. سوف يغيبان ليلتين فقط، ولكن روبيرْتو يأكل أكثر حين يشعر بالوحدة. روبيرْتو رجل ذكي جدًّا، طويل القامة قوي البِنية، يمارس عملًا مهمًّا للغاية، لكن من دون آنا، فإن والد فابْيو يصبح مُعطّلًا. يعتقد فابْيو أن أمه هي من يجعلُ روبيرْتو لا ينسى أي شيء، لا ينسى السياقة ولا التحرّك.

صعدَ فابْيو وآنا مرْكبةً، وهي مثل الحافلة التي يقودُها والدُ فابْيو، لكنها تقطع مسافات أطول وتطوف حول التِّلال. يسمونها مركبة لأنه حين تمر بكل بسرعة عبر الأزقَّة الضيِّقة التي تُحيط بالتِّلال تطفو كي لا تسقط. قطعَ فابْيو وآنا، حاما، عبرا وطافا فوق أكثر من خمسة تلال كي يتمكّنا من الوصول إلى منزل العمالقة. في الطريق، رأى فابْيو تلالًا ضخمةً تبدو كأنها مقابرُ عمالقة وتساءل إن كانت أجسام العمالقة التي تُطعمها أمه تتضخَّم حتى تكتسي حجمها الحقيقي وتُشكِّل جبالًا. حين وصل، شعر فابْيو أنه أحسن حالًا بعض الشيء. كان الجوُّ أكثر خفةً ولا يُذكّرُه بالريح الوسخة التي كانت تسوطُ خدَّيه بالبرد في بوغوتا، عندما كان يستطيع ركوب الدرّاجة.

أمام المنزل الواسع حيث كانت تشتغل خالتاهُ، كان هناك مسبح، يبدو أنه عميق جدًّا وتجعله البلاطات الداكنة يبدو مثل بحيرة. كان فابْيو قد سبح في مسابح أخرى، يحلو له اللعبُ وهو يحبس أنفاسه وينظر إلى الخارج من تحت الماء، كما لو أنه سمكة. كان فابْيو سباحًا ماهرًا، يُتقن السباحة كما يُتقن ركوب الدرّاجة تقريبًا. كلّا، لم يعد فابْيو درّاجًا، ونسي ركوب الدرّاجة. فماذا لو نسي السباحة أيضًا؟

- لا، يا فابْيو، هذا شيء لا يُنسى - قالت له أمُّه.

- كلامٌ، مجرد كلام - همسَ فابْيو، وهو يفكّرُ في ماليسيا.

هكذا، وخوفًا من أن ينسى كيف يسبح، لم يدخل فابْيو إلى المسبح. فالسباحة مثل ركوب الدرّاجة، لا يمكنه أن يُجرّبها إلى ما لا نهاية. لو حاول أن يحبس أنفاسه ربما يغرق، ويبقى في قاع المسبح إلى الأبد. إنه مسبح داكن ولا أحد قد يراه هناك في الأسفل، ومع مرور الوقت قد ينساه الجميع. لذلك فإن فابْيو لم يسبح، بل جلس على حافة المسبح بقدميه في الماء وراح يفكر في درّاجته.

كان صاحب منزل العمالقة رجلًا يُدعى دارِيّو، رغم أن فابْيو لم يكن يعرف إن كان موجودًا أم لا لأنه لم يره قطُّ. يقولون إنه يسكنُ في الغرفة العملاقة بالطابق الأخير من المنزل العملاق. إن كان دارِيّو موجودًا فلا بُد أنّه بصدد التحول إلى عملاق حقيقي، فكّر فابْيو، لذلك اختبأ، لأنه بداخل جسده الصغير كان يكبر رجل صخم. فابْيو، الذي لم يعُد يصدق أي شيء تقريبًا، قرّر أن يذهب ليرى كي يصدق.

راح فابْيو يصعد السلالم درجًا تلو الآخر، كمن ضاعت منه لائحة الأشياء التي ينبغي أن يقوم بها وما عليه الآن سوى أن يصعد السلالم. أولًا، الدرج الأول، ثم الدرج الثاني. أمامه كان بابُ العملاق، من خشب ضخم، كان في البداية بلون الشجر لكنه فقد القشرة وأصبح الآن مجرد باب. كان الباب مواربًا فقرّر أن يدخل.

كانت رفوف من الكتب تُغطِّي الجدران من الأرضية حتى السقف، الذي كان أعلى من أي سقف سبق لفابْيو أن رآه من قبل. لا بُد أن دارِيّو رجل طويل القامة جدًّا كي يصل إلى الكتب في الرفوف العُليا. أما الكتب، من جهتها، فكانت تستند على الجدار بكعوبها، ولا تظهر منها سوى أحشاء الصفحات العارية، وتبدو الجدران كأنها إطار يضم أكوامًا من الأوراق المُتراكمة عموديًّا.

- وأنت، مَن تكون؟ - مِن وراء جبال الأوراق برز الرأس الصغير لرجُلٍ. لا علاقة له بما كان ينتظره فابْيو من عملاقٍ.

- أنا فابْيو.

- أهلًا، فابْيو، اتبعني، اتبعني، لا أعرف من هو فابْيو، لكن اتبعني. انظر إلى هذا.

دار فابْيو حول المائدة. خلْفَ عرينِ الأوراق، كان دارِيّو، نحيفًا وقصيرًا، يرسمُ خطوطًا على ورقة كبيرة، خريطة عملاقة. فوق المكتب، مختبئًا وسط الأوراق، كان جهاز تلفاز يعرض كوكبة من الرجال يرتدون ملابس ذات ألوان

تلتصق بجلودهم، ويركبون درّاجات. شعر فابْيو بكُرةٍ من نارٍ في صدره، مرّرَ أطرافَ أصابعه على رقبته، فشعر بفجوة.

- المرحلة الثامنة، يا فابْيو، السادس من يوليو من سنة 1985، من ساربورغ إلى ستراسبورغ، كان هناك ضباب كثيف، كثيف جدًّا.

حدّد دارِيّو نقطةً على الخريطة، حيث كانت هناك أشكال غير منتظمة، خضراء وزرقاء، خطٌّ أحمر يبدو أنه يشقُّ لنفسه طريقًا بين الأخضر وعدة أسماء صغيرة جدًّا، صغيرة جدًّا بالنسبة لعملاقٍ.

- انتبه، انتبه، يا فابْيو، هنا يظهر بيرنارد، صاحب القميص الأصفر - ثم يُوقّفُ دارِيّو صورةَ التلفاز بواسطة جهاز التحكم عن بُعد. تتوقفُ الدرّاجات وسط الضباب بينما هو يُحدّد نقطةً على الخريطة - هنا بالضبط يوجد بيرنارد. انظر الآن.

تحركت صورة التلفاز من جديد. نظر دارِيّو إلى فابْيو آملًا أن يتوصل بنفسه إلى الاستنتاج الذي كان في ذهنه. لم يتكلّم فابْيو، كان الهواء الساخن يحرقُ رئتيه، وذهنُه شارد بعيدًا عن هناك.

- و؟ هل رأيتهُ؟

- لا... ماذا يجبُ أن أرى؟

- لا أحد، يا فابْيو، لا أحد، لأنه لم يعد هناك. لم يعد هناك! اختفى بيرنارد! ابتلعه الضبابُ! - الآن، انظر - قال دارِيّو وهو يضغط على زرٍّ آخر فتسارعت صورُ التلفاز. ظهر من جديد ذلك الشخص الذي يرتدي القميص الأصفر واستأنف الدرّاجون سرعتهم العادية. فاز بيرنارد هينو بالمرحلة الخامسة.

- فازَ، يا فابْيو، فازَ! ظهر من وسط الضباب! طبعًا، بما أن هناك ضباب، فلا أحد يُخامرُه الشك، لا أحد ينتبهُ إلى أنه قد ذهب، يظنون أنه ربما ما يزال

هناك، لا بُدّ أنه ما يزال هناك، لا نراه لكن لا بد أنه ما يزال هناك. مستحيلٌ، يا فابْيو، هذا أمرٌ مستحيل من الناحية المادية.

أخرج دارِيّو خريطة أخرى من كومة أوراقه، وكانت هذه المرة خضراء تمامًا باستثناء خط أحمر يُشير إلى مسار المرحلة الخامسة من طواف فرنسا. ومباشرة بعد ذلك، حدّد دارِيّو نقطة أخرى على الخريطة، نقطة الوصول.

- والآن، اقتربْ من هنا، يا فابْيو. هنا، يختفي بيرنارد، هل ترى؟ - لمسَ دارِيّو الخريطة بأصابعه. إن لم يكن ينطق باسمه عند كل جملة، قد يعتقد فابْيو أنه لم يكن يتحدث إليه - وهنا يظهر من جديد، قُبيْلَ الوصول بالضبط. اقترِبْ، يا فابْيو، انْظُر إلى النقطتيْن. هل تراهُ؟ وسط اللون الأخضر. هل تستطيع رؤيتَهُ؟

ظلٌّ. رأى فابْيو ظلًّا وسط اللون الأخضر. لونٌ أخضر أكثر دكنة قد يكون لا شيء إن لم يكن يربط تمامًا بين النقطتين اللتين حدَّدهما دارِيّو. طريق. جابَ فابْيو بأصابعه الظلَّ الأخضر بنفس العناية التي بحث بها عن حجرٍ صغيرٍ ضاع في رقبته، كأنه يبحث.

- هذا الطريق أقصرُ، يا فابْيو، إنه طريق مُخْتصَر. كان بيرنارد هينو يغشُّ. كان الماكرُ يعرف رسم الخرائط! كان بيرنارد هينو يغشُّ، يا فابْيو!

فتحَ دارِيّو جارورا، يعجُّ بالأوراق مثل المكتب ومنه أخرج دفترًا أخضر، قلّب بضع صفحات وسجّل: 6 من يوليو من سنة 1985، المرحلة الثامنة، بيرنارد التمساح، تغيير الاتجاه.

- ماكرٌ آخر. وأنت مَن تكون، يا فابْيو؟

- ابنُ آنا.

- آه، آنا، صاحبةُ الخبز. حسبتُكَ البستاني. حسنًا، حسنًا. يمكنك أن تنصرف، يا فابْيو، شكرًا على مساعدتك. انتظر، انتظر، خُذ الخريطة... حتى تتذكر أن أي ماكرٍ يكون أكثر مكْرًا إن كان يعرف رسم الخرائط. أَغْلِقْ الباب. شكرًا.

كان فابْيو خارج باب العملاق. في يده ورق ضخم، أوّلُ خريطة تُصوّرُ خدعة بيرنارد هينو معروضة بقلمٍ أحمر. فتح الخريطة ونظر إلى الأشكال غير المُنتظمة بالأخضر والأزرق: اليابسة والبحر. لمس بأطراف أصابعه المسار الأصلي لطواف فرنسا، وضع أصابعه على رقبته فشعر بفجوة.

عندما عادت إلى بوغوتا، كانت آنا مُتجهِّمة للغاية. فالرحلة لم تنفع في إدخال الفرح على قلب فابْيو، الذي يبدو الآن مُضطربًا أكثر من أي وقت مضى. ما إن اجتازا باب البيت حتى توجَّهت آنا لتُحضّر الخبز، لأن ذلك هو خير ما تفعله

ودائمًا ما يبعث السرور في نفسها. تخيّل فابْيو لحظةً ما الذي قد يحدثُ لو نسيت آنا كيف يشتغل الفرنُ.

خرجت أمُّه لتوزع ما صنعته من خبز، فاضطر فابْيو، مرةً أخرى، ليبقى في بيت أليسيا. هذه المرة، شعرَ فابْيو أنه من المهم أن يذهب إلى بيت أليسيا كي يُريها الخريطة التي أهداها إيّاهُ دارِيّو يحكي لها عن خُدَع الدرّاجين، يحكي لها أن دارِيّو يدوّن كل الخُدَع في دفتر صغير أسود، ويحكي لها أن العمالقة يوجدون وأنهم صغارُ الحجم جدًّا.

- آه، يا بُنيّ - قالت أليسيا وهي ترى فابْيو - هذا أنت.

- أنا لستُ ابنك، يا ماليسيا - أجابها فابْيو مُنزعجًا.

- هذا صحيح، يا فابْيو، معك حقّ.

وضع فابْيو خبزَ أليسيا في صوان المطبخ وذهب ليجلس بين إحدى ناموسيات الصالة.

- كيف كانت رحلتك، يا فابْيو؟ - سألتهُ العجوز، وهي تُحرك كرسيًّا من مكان إلى آخر من الغرفة.

- عادية.

- عليك أن تشرح هذا، لأنني لا أفهم ماذا يعني.

- أي شيء؟

- عادية.

- ماليسيا، منذ متى لم تغادري بيتك؟ - قاطعها فابْيو وهو يحاول أن يتحكم في مجرى الحديث.

- لماذا سأغادر بيتي إن كان كل شيء سواء.

- وكيف تعرفين؟

- من خلال الضجيج. أينما كنتَ في بوغوتا، فإنك حين تغلق عينيك يمكنك أن تسمعهُ. إنها طريقةُ تنفُّس الغول، هي دائمًا نفس الطريقة.

ظلَّ الاثنان صامتيْن، يحاولان أن يجدا الضجيج في آذانهما.

- يا بُنيّ.

- أنا لستُ...

- فابْيو - صححت أليسيا في قلق - هل يمكن أن أطرح عليك سؤالًا؟ - فينظر إليها فابْيو بفضول، لأنه من النادر أن يطرح عليه شخصٌ مُسنٌّ جدًّا سؤالًا حقيقيًّا. فعدّل ظهره ووافق بحركةٍ من رأسه، مُظهِرًا أهميته - كيف تشعر وأنت تنسى؟

سرى تيارٌ في جسد فابْيو من طرف إلى آخر.

- كأنَّ... - تردّد فابْيو - كأنَّ جزءًا من الجسد لا يشتغلُ. كأنّ القدمين لا تنفعاني.

كأنّني مُضطرٌّ لأتعلم أن أعيش من دون ذاتي. فكّرَ.

- هل نقوم بتجربة؟ أحضِر درّاجتكَ.

هل يكون ذلك ممكنًا؟ هل تستطيع أليسيا أن تجعلهُ يتذكّرُ؟ جرى فابْيو نحو الباب المجاور بحثًا عن درّاجته، أحضرها إلى حيث تسكن أليسيا وأدخلها بصعوبة إلى البيت الضيق. حرّكت أليسيا كل مراوح البيت، وهي عشرة، مثل سنواتِ عُمْر فابْيو، ووضعتها على شكل فيلق من الرّيح أمام كومتيْن من الكُتب.

- اتركها بين الكتب كي لا تسقط.

- ماذا؟ - قال فابْيو مُشكِّكًا.

- افعل هذا واركب الدرّاجة.

- ولكن، ألن تجعليني أتذكّرُ؟

- ركوب الدرّاجة؟ لا، هذا غير ممكن. سوف نحاول أن نجعلكَ لا تشعرُ بأنّكَ نسيتَ.

- وما الفرقُ؟

- إنك لن تتذكّرَ، ولكنك سوف تتوقف عن الشعور بأنك قد نسيت. سوف تنسى أنك قد نسيتَ.

ركب فابْيو فوق مقعد دارجته بلون السلمون، اللامعة، النظيفة والحزينة من قِلّة الاستعمال. أغمض عينيه وأسند قدميْه على الدوّاستيْن. ما يخرج من هواء من المراوح يضربُ وجهَه بعنف، والضجيج لا يُحتَملُ.

- والآن، تخيّل الشارع. إنك تمشي في المدينة تحمل كيس الخبز في يدك. أنا أراكَ. هل ترى ذلك أنت أيضًا، يا فابْيو؟ إنك تجول بدرّاجتك في كل أرجاء الحيّ، وتطوف حول الحديقة.

تخيّلَ فابْيو ذلك، تخيّلَ درّاجتهُ مُتَّسِخة مرة أخرى يُغطيها الغبار، تخيَّل الحديقة. حجمٌ صغيرٌ ركبَ الدرّاجة بمهارة، توقف عند الدواستيْن دون أن يستند على المقود، ورفع ذراعيه. لكنه لم يكن هو، لم يكن فابْيو هو من كان يركبُ الدرّاجة. إنها طفلةُ الحديقة، إنها مارينا بنت بائع الفواكه، هي التي لم تسقط.

- لا ينفع - قال فابْيو وهو ينزل من الدرّاجة.

- حسنا، أنا أيضًا لا يُبْعدُ النسيمُ البرْدَ عنّي، ولكن المحاولة تستحقُّ العناء.

- ولماذا لا تلتحفين؟

- ماذا؟

- إن كنت تشعرين بالبرد، لماذا لا تلتحفين؟

- لأنهم وعدوني بأن يأخذوني لأعيش في أرض دافئة.

- ولكننا في بوغوتا.

- أعرفُ ذلك، يا فابْيو. سَمِّهِ كبرياءً، حقدًا، سذاجةً، عادةً، لكن ألبرتو قال لي إنه سيأخذني لأعيش قبالةَ البحر، حيث لا يكون الجو باردًا أبدًا. ولكثرة ما صدَّقتُ كلامَه حتّى جسدي راحَ يجد صعوبة في التوقُّف عن الانتظار أن يفي بوعده. كلما شعرنا بالبرد كان ألبرتو يقتني مروحة. لأنه حين سنذهب، سنشعر بكثير، كثير من الحرّ، يا فابْيو، حتى إنه لم يكن يستحق العناء أن نفكر في البرد السائد، بل في الحرارة التي ستكون.

- ولماذا لم تذهبا؟

- لأن كل شيء كان كذبة، يا بُنيّ، فالبحر لا وجود له. كان ألبرتو يجلب لي كل يوم مروحةَ يدٍ جديدة، قبعة ذات حافة عريضة، ونظارات شمسية. كان يرسم

طرقًا ممكنةً على الخرائط، يُحدثني عن ذلك البحر الذي رآه عندما كان طفلًا. كلامٌ، يا فابْيو، مجرد كلام، لم يوجد البحرُ قطّ.

- هل ذهب من دونك؟

- لم يكن له من مكان يذهبُ إليه، يا فابْيو. هل تذكرُ أنت كيف كان والداك يكذبان عليك وهُما يقولان إنه لا أحد ينسى ما نسيتَهُ أنت؟ أنا، أيضًا، كذبوا عليَّ بنفس الطريقة. خدعني ألبرتو، لأن البحر لا يوجد.

أخرج فابْيو من جيبه ذلك الورق الضخم الذي أعطاه إياهُ دارِيّو، مطويًّا على ثمانية أجزاء متساوية، وعليه ما تزال مرسومة خطوط طواف فرنسا، وخدعة بيرنارد.

- لكن، انظري. هنا الأزرق أكثر من الأخضر، وهناك من الماء ما يفوق اليابسة. فكيف لا يكون أكيدًا إن كان أكبر منَّا؟

- يوم يبلّلُ لونُ البحر الأزرق في الخريطة إصبعي الذي أشيرُ به إليه، يومئذ سأصدقُك، يا بُنيّ، لكن ليس قبل ذلك.

لم يكن فابْيو يعرف البحر، فقط رآه في الصور وعلى شاشة التلفزيون، وهو يراه الآن في خريطة دارِيّو فيدرك أن ذلك ليس هو البحر، يعرفُ أنه رآه ولكنه ليس هو البحرُ. ربما تكون ماليسيا على حق وأن العالم يعجُّ بالأكاذيب البلهاء التي تجعل العجائز يرتعشن من البرد؛ يعجُّ بالناس الذين يعتقدون أن العمالقة كائنات خطيرة وليسوا رجالًا صغارًا واهنين مُنهمكين في الكشف عن خُدع العالم؛ يعجُّ بالعبارات الزائفة من قبيل "السرعة تساوي المسافة مقسومة على الزمن"، "ضاع الكثير مع الطوفان ولم يكن أي شيء في ملكي"أو"مثل ركوب الدرّاجة الذي لا يُنسى ابدا".

روبيرْتو لا يحب أن يقضي فابْيو كثيرًا من الوقت مع أليسيا. يسعده أن يقضي وقتًا أقل مختبئًا تحت سريره، لكنه الآن يقضي كامل وقته يتحدث معها حول خدع العالم المُمكنة: الكهرباء، الديناصورات، الطماطم، الهواتف اللاسلكية، والبحر. لذلك، وحتى لا يقضيا كثيرًا من الوقت معًا، قرّر روبيرْتو أن يأخذ فابْيو معه إلى العمل، إلى حافلة النقل. لم تكن أيامًا سهلة على السائقين في بوغوتا، كان فابْيو يعرف ذلك، ولم تكن تلك أول مرة يرافق فيها والدَهُ، لكن مرَّ وقتٌ طويل على آخر مرة قام فيها بذلك. كانت المدينة تتغير، أو على الأقل الطريقة التي كان الناسُ يتحركون بها في المدينة.

لسنوات عديدة، ربما خلال حياة والد فابْيو بكاملها، كانت بوغوتا تنعم بالمظهر القلِق الهادئ للفوضى المنظمة. كانت الحافلات، وهي هياكل معدنية تستند على أربع عجلات، تتحركُ بحُرِّية كأنها كائنات ضارية. كانت الحافلة تتوقف

حيث يحلو لها، تحمل مَن تشاء، تمشي بالسرعة والموسيقى التي يثيرها فيها السائقُ. كان النظام الوحيد يأتي من لوحة خشبية توضِّح للمواطنين أين تمرُّ الحافلة. من كان يريد أن يذهب إلى حيّ روما يمتطي الحافلة التي كتب عليها:

فيصلُ إلى حيّ روما، من دون أن يعرف أحد كيف، لكنه يصلُ. كانت الحافلات تعرف كيف تنظم غولَ الغبار، تتحرك وفق قواعد الفوضى، لكن المهم أنها كانت تتحرك، وحسب. هكذا كانت بوغوتا الأبديّةُ، بوغوتا الحياةِ بكاملها، حيث الغاية تبرر الوسيلة.

لكن أحدهم فكّرَ في أن يمنح الفوضى نظامًا، أو ربما فوضى أخرى للنظام الذي كان سائدًا: رسمُ مسارات جديدة، صباغةُ الحافلات بألوان أخرى، إجبارُ السائقين على استعمال زي مُوحَّد، سحقُ كل العربات فقط من أجل صُنع عرباتٍ أخرى، وضعُ مواقف كي يعرف السائقون أين يتوقّفون ويعرف المواطنون أين يصعدون، منعُ الموسيقى، والأفظع من هذا كله، منعُ فابْيو من ولوج الحافلات.

في ظلِّ "نظام النقل الجديد" هذا، لم يكن بوسع روبيرْتو أن يأخذ معه فابْيو ويُجْلسهُ في الكرسي الخاص بمساعد السائق. ورغم أنه لم يكن بحاجة لمساعدة فابْيو، الذي عادةً ما يساعده في تلقي النقود من الرّكاب وحساب الفكّة، كان أخذُ فابْيو في الحافلة يعني لروبيرْتو شيئًا أكثر من ذلك. هكذا، حتى آخر لحظة، سوف يناضل روبيرْتو كي لا يرتدي الزّي المُوحَّد، كي لا يصبغ حافلته بلون أزرق، كي لا يضع آلة أوتوماتيكية تستلم الفلوس عبر البطاقة وتصيح "شكرًا" بلكنة غريبة. إن الحافلات الحقيقية، حافلات الأمس، كانت في طريق الانقراض، وفي الحافلة البيضاء التي يسوقها روبيرْتو، التي كانت أيضًا بلون السلمون في فترة ما، يمكن الآن قراءة يافطة زرقاء تُشير إلى مصيرها: حافلة مؤقتة.

هكذا كان يعيش روبيرْتو، بشكل مؤقّت، ويعلمُ فابْيو، بشكل مؤقت أيضًا، أنه كي يُحدِّثَه والدُه وهو يسوق الحافلة، يجب عليه أن يتكلف بتلقِّي النقود التي يُسلمها إياه الرُّكاب بشكل مؤقَّت، قبل أن يتغير العالمُ بشكل نهائي. لذلك كان فابْيو يُحْسِنُ العَدَّ، لأنه كان مستعدًّا لليوم الذي يأخذه فيه والدُه إلى العمل. وعشية اليوم الكبير، كان فابْيو يُسجل كل العمليات الحسابية التي عليه أن يقوم بها وثمن تذكرة الحافلة، الذي هو ألف وثمانمائة بيسو. أولًا، كان يُردد في ذهنه ألف وثمانمائة، ألف وثمانمائة، ألف وثمانمائة. إنْ سلّموهُ ورقة مالية من فئة خمسة آلاف بيسو، (حيث يظهر وجه شاعر وقصيدة كُتبت بحروف صغيرة جدًّا)، كان يعرف أن عليه أن ينظر إلى رُكبته التي كتبَ عليها: خمسة آلاف ناقص ألف وثمانمائة تساوي ثلاثة آلاف ومائتين. وإن سلّموهُ ورقة مالية من فئة عشرة آلاف بيسو، حيث يظهر وجهُ سيّدةٍ، كان يعلمُ أن عليه أن ينظر إلى رُكبته التي كتَب عليها: عشرة آلاف ناقص ألف وثمانمائة تساوي ثمانية آلاف ومائتين. وإنْ سلّموه ورقة مالية من فئة خمسين ألف بيسو (التي يظهر فيها دائمًا شخصٌ له شارب): خمسون ألف ناقص ألف وثمانمائة تساوي ثمانية وأربعين ألف ومائتين. وعلاوة على هذا، كان يجب على فابْيو أن يركز على الوجوه التي تتغير في كثير من الأحيان، لأنه في بوغوتا، بالإضافة إلى الحافلات المؤقتة، كانت هناك أوراق مالية مؤقتة. الأوراق السابقة، وتلك التي سوف تنتهي صلاحيتها.

كان فابْيو يحاولُ أن يحسب كل عمليات الطرح الممكنة التي عليه أن يقوم بها وهو يتعرَّف وجوه كل الكُتّاب الأثرياء على الأوراق المالية، كي يتمكن من تلقِّي النقود وإعادة الفكّة بسرعة، حتى لا ينشغل والدُه ويتمكّن بالتالي من الحديث عن الأماكن التي يمرون بها، عن الناس الذي يصعدون الحافلة، عن بوغوتا.

أقلعت الحافلة من المقبرة القديمة، قبل الفجر. كانت حافلةً قديمةً ومستطيلةً، مثل علبة حذاء معدنية. كانت تتحرك بصعوبة، ترتعش كأنها مُشكّلة من طيّات، كأنها حافلةُ أوريغامي من الألومينيوم. جلس فابْيو قرب والده وفتح النافذة لهواء الصباح البارد الصافي كي يُجمّدَ خدَّيْه ويوقظَهُ.

بدأ الناس يصعدون وطفقت الحافلة تتحرك. أحيانًا، تتحرك ببطء، بطء شديد، لأن بوغوتا مدينة تغصُّ بالناس الذين يريدون أن يتنقَّلوا فتمتلئ بالآلات الخاصة بذلك. من بينها حافلةُ روبيرْتو، ومن بينها درّاجة فابْيو.

كانت الحافلة تُحدِثُ ضجيجًا كبيرًا، نوافذُها تُدوّي وكراسيها ترتعشُ. كلما ضغط روبيرْتو على المكبح (تتوقَّف الحافلة معه أيضًا) تُصدِرُ الآلة المعدنية بكاملها صوتًا كأنه امتدادٌ لجسده. كان روبيرْتو يقول إن سياقة الحافلة مثل عزف الموسيقى، أو هذا ما كان يقوله منذ أن سرقوا منه جهاز المذياع ولم

يعُد يستطيع تشغيل موسيقى الباڤْشاتا التي تعجبُ آنا. كان الناس أيضًا يشتكون أحيانًا، بعضهم يفعل ذلك وبعضهم لا يفعل. كلهم مختلفون، كل واحد أكثر غرابةً من سابقه، وفابْيو يعجبه أن يرى أشخاصًا من هذا النوع. كانت بوغوتا أكبر ألفَ وثمانمائة مرة مما كان يعتقد، وأغْرب ألفَ وثمانمائة مرة.

كان الناس يركبون من الباب الأمامي أو الخلفي، يضعون سمَّاعات الآذان، يحملون أكياسًا، دجاجًا. يذهبون إلى أعمالهم أو يعودون منها؛ مُتعبين، مرحين، يبكون، يغنون، يحاولون ألَّا يلمسوا بعضهم البعض، يستندون إلى بعضهم البعض. كان فابْيو ينظر متأثرًا، لأن بوغوتا لها أناس مختلفون جدًّا، يأتون من أحياء مختلفة تمامًا عن حيّ فابْيو، بها شوارع أكثر اتساعًا وأقل انحدارًا، كان والده يجوبها بتلك الحافلة الكبيرة جدًّا التي لا بد أنه كانت تجعله يشعر أنه عظيمٌ بدوره.

حاولت امرأةٌ أن تدخل من الباب الخلفي، فسحت لنفسها طريقًا وسط الأجساد بينما كانت تحمل فوق رأسها سلّة بلاستيكية صفراء مليئة بالفواكه. كانت فاكهة لم يسبق لفابْيو أن رآها قطّ، عدائية وتعود إلى ما قبل التاريخ، مثل بيض الديناصورات، التي ربما كانت موجودة على أي حال. وقد تقول أليسيا إن ما قبل التاريخ لا وجود له لأن ما جاء قبل التاريخ لا يمكنُ أن يُحكَى.

- إنك تبدووووو مثل سائق شاااحنة! - صاحت المرأة في والده، بعد أن بلغت مؤخرة الحافلة ودقت الجرس بالحاح ليتركها خمسمائة متر إلى الوراء بالضبط. كان فابْيو يذكرُ عمَّهُ أوريلْيو، الذي كان يشتغل سائق شاحنة. كانت آنا تقول إنه يشبه والده، ولا بدّ أن السيدة قد خلطته بوالده.

- أمي على حق، أنت تشبه أوريلْيو، يا بابا. أرأيْتَ؟ حتى هذه السيدة حسبتك أوريلْيو - قال فابْيو، وهو يحاول أن يبدأ حديثًا.

ضحك والدُه، وبعد أن حرك نقَّال السرعة وضع إحدى يديه الضخمتين على صدر فابْيو ليسنده، ودفع دوّاسة القابض ثم المكبح، فتوقَّفت الحافلة قبل أن يتوقف الرُّكاب، الذين انطلقوا مندفعين إلى الأمام. فخرجت كل العلب، والحقائب، والسَّماعات، بل وحتى آخر حبّة من حبّات فاكهة التِّنّين، فاكهة ما قبل التاريخ، منقذفة نحو الأمام، تدفعها السرعة التي كانت تسير بها وتحبسها القوة التي ترفض الحافلة أن تتابع بها الطريق. حاولت أجساد أهل بوغوتا أن تعدل جلستها فوق الكراسي.

- إنهم يخلطونني طوال الوقت، لا يمكنك أن تتصور ذلك.

- بابا، لماذا لا تريدني أن أقضي بعض الوقت مع أليسيا؟ - تضايقَ والدُه، وفابْيو يعرف ذلك، لأنه يعرف أن والدَهُ يتضايق عندما يُمرِّر يده على عنقه وهو يمشِّط لحيته بعكس اتجاه الشَّعْر.

- لا أريدك أن تتعلّق بها، يا فابْيو، من الأحسن أن تجد لك أصدقاء في سنّك.

- كل أصدقائي يركبون الدرّاجة، ولم أعد أستطيع أن أكون معهم، والأسهل هو أن أكون مع ماليسيا.

- لا يمكن أن تكون أنت الطفل الوحيد في الحيّ الذي لا يعرف كيف يركب الدرّاجة. اخرج واكتسب أصدقاء جددًا، لأن أليسيا عجوز مُتعَبة وليست مُستعدة للركض والجري. في أي يوم من الأيام سترحلُ، وحينها ماذا؟

وضع روبيرْتو يده على صدر فابْيو مرَّةً أخرى وكبح الحافلة بقوة، فنفخَ الرُّكاب غاضبين قلقين على سلامتهم. قلق فابْيو بدوره.

- أين سترحلُ؟

توقّف والدُ فابْيو عن الرّد، كما توقّف عن أخذ الأشخاص من المحطات وراح يُنزِلُ من بقوا في الحافلة الواحد تلو الآخر حتى بقيت الحافلةُ (إلا من 20 حبّة من حبّات فاكهة ما قبل التاريخ ظلت تدور فوق الأرضية مثل عجلات رخوة) فارغةً. وعاد روبيرْتو مع ابنه إلى البيت.

- بابا، إلى أين سترحلُ ماليسيا؟

- أين يمكن أن أرحل؟ - أجابت أليسيا مبتسمةً، عندما واجهها فابْيو بالسؤال.

- لست أدري، بابا يقول إنك سترحلين وإنني أركض كثيرًا، هذا غير صحيح، كما يقول إنني بحاجة ليكون لي أصدقاء في مثل سنّي.

- كلامٌ، يا فابْيو، مجرد كلام.

- لا، يا ماليسيا، أخبريني أين سترحلين. لا ترحلي.

- هل تذكرُ حكاية ألبرتو، يا فابْيو؟ إنك تذكرها، بالطبع. هو من أعطاني حقيقةَ إصبع الإبهام. هل تريد أن تسمع نهاية الحكاية؟

- فقط إن كان هذا يعني أنك لن ترحلي.

- لا مكان للكذب في بيتي، يا فابْيو... لكني سأحكي لك، مع ذلك - رفعت أليسيا إبهام يدها اليُسرى ونظرت إليه بإمعان - كان ألبرتو بدينًا، ببطن رائع وقوي بدأ يؤلمُه ذات يوم. أتصور أن الألم كان يناسب حجم البطن لأن ألبرتو ما فتئ يصيح، فذهب إلى المستشفى وأعطوه أقراصًا، لكنها كانت صغيرة جدًّا فلم يزُل الألمُ. لذلك عاد إلى المستشفى فقدموا له مزيدًا من الأقراص، كانت مختلفة وكبيرة هذه المرة، لكنها لم تنفع كثيرًا أيضًا. وسرعان ما توقَّف عن أن يجلب لي أشياء تخصُّ رحلتنا إلى البحر؛ كان الألم يمنعه من الحركة.

- ألم يساعده الأطباء؟

- لم يعرفوا كيف يساعدوه، يا فابْيو - ثم جلست أليسيا على الأريكة قبالة فابْيو. وقليلة هي المرات التي رآها جالسة، لأن أليسيا كانت دائمًا تُحرّك أشياء داخل البيت - سرعان ما توقف ألبرتو عن الكذب، أو كفّ عن مخادعتي، أو كفّ عن مخادعة نفسه، لم أعد أعرف ما هو الفرقُ. لم يعد يقول لي إننا سنذهب لنعيش قرب البحر، بعد ذلك لم يعد يكلمني وفي الأخير توقف عن الأكل. كان مريضًا جدًّا، وكان الأطباء يؤكدون أنه سيعيش لمدة شهرين آخرين، لكنه مات بعد أسبوعين. مات مستيقظًا ولم يرغب في أن ينادي على أحد، غارقًا في الخجل من أنه يموت. لذلك فإن الجميع يعتقدون أنه تركني وذهب إلى البحر، لأنه رفض أن يحكي أي شيء لأي أحد.

كانت يدا فابْيو تؤلمانه من القلق، وأليسيا ترتعش، ربما من البرد.

- والآن، يا بنُيّ، الشيء الأكيد هو أنك بحاجة لترى أصدقاءك من جديد، أصدقاءك الآخرين. أما أنا، فيكفيني أن أسمع صخب المدينة لأعرف أنه حين لا يكونُ المرء في الخارج لا يعني هذا أنه لا يوجد أي شيء هناك. هيا، اذهب، وبعد ذلك يمكنك أن تحكي لي كل تلك السخافات التي يقولها الناس في الشارع. وداعًا.

وهي تتكلم، كانت أليسيا تقود فابْيو نحو باب الخروج، وها هو الآن فابْيو أمام بيت جارتهم، جامدًا، لا يفهم شيئًا. عند هذه النقطة، كان الشيء الوحيد الذي يستطيع القيام به كي لا ترحل هو أن يرضيها، لذلك قرر أن يخرج إلى الشارع ويقتنص الأكاذيب ليحكيها لأليسيا. من السهل جدًّا أن ندفع الناس ليكذبوا، يكفي أن نجعلهم يتكلمون، وهناك شخص كان فابْيو يريد أن يتحدث معه منذ ذلك اليوم الذي نسي فيه ركوب الدرّاجة.

كان محلّ بيع الفواكه يقع في الجهة الأخرى من الحديقة، وكان من المنازل القليلة التي يصلها ضوء الشمس كاملًا. عبَرَ فابْيو كتلة الأعشاب بسرعة، خوفًا من أن يراه طفلٌ من زمرة أطفال الدرّاجات ويسأله أين كان. منذ مدة طويلة لم ير أصدقاءَه، جاؤوا يسألون عنه في البيت لكن آنا أخبرتهم أنه لا يريد أن يخرج. ما زال فابْيو يرفض أن يروه يمشي على رجليه، كما لا يريدهم أن يذكروه ساقطًا، مُغطًّى بالدم والوحل. بل إنه، أحيانًا، يريدهم أن ينسوه تمامًا.

يبدو محلُّ بيع الفواكه مثل غابة داكنة أنشأها بائع الفواكه في مرأب بيته. وضع البائع أكياسًا سوداء في السقف حتى لا يسمح الظلام للفواكه بأن تشعر بثقل مرور الزمن فتفسد. يفهم فابْيو ما الذي قد تشعر به الفواكه، إنه نفس الأمر الذي يشعر به حين يختبئ تحت سريره، ولا يحدث أي شيء.

كانت الشمس تسطُع بقوة، وعينا فابْيو تبذلان جهدًا كبيرًا للتأقلُم مع تغيُّر الضوء في الدكان. كانت الشمس تسطُع كما سطعت يوم نسي فابْيو كيف يركب الدرّاجة.

- مسااااء الخير - صاح فابْيو، وهو يبحث عن مارينا.

كانت في خلفية الغرفة، لم تعد تضع الملحفة لكن فابْيو تعرّفها. لم يتذكّر ما كان يريد أن يتذكرَهُ، لكنه تذكّر انعكاس البِرَكِ، وعيني مارينا اللامعتين، صوتها الذي برز مثل مفاجأة، أنا كانت تعجبُني شرائط المقود، درّاجتها. درّاجة مارينا، وليس درّاجة فابْيو، دائمًا درّاجة مارينا. ربما لذلك نسي فابْيو ركوب الدرّاجة، لذلك لم يعد يستطيع استعمالها. كانت أمها قد استبدلت الدرّاجة بلون السلمون مقابل ثمانية أكياس من الكعكة فلم تعُد مارينا لتركبها مرة أخرى، ولم تفعل حتى يوم نسي فابْيو كيف يركبُ الدرّاجة.

- ماذا تريد؟ - أجابته مارينا، مرة أخرى بصوتها الذي لا ينتظره أحد.

لم يعرف فابْيو ما يقول لها، شعر أنه يريد أن يحكي لها كل الأشياء التي وقعت له في الحياة لكنه لا يذكر أيَّ واحدة منها. ظلّ صامتًا ينظرُ إليها.

- أنت هو الطفل الذي انتزع مني درّاجتي - قالت له مرة أخرى، في ضجرٍ.

- أنا لم أنتزع منك شيئًا، وهذه الدرّاجة أهدتني إياها أمي، لم أكن أعرف - أجابها فابْيو بسرعة كبيرة، دون أن يأخذ ولو نفَسًا واحدًا.

- على أيِّ حال، لم أعُد أستطيع.

- هل نسيت بدوركِ كيف تركبين الدرّاجة؟

- كلا. أنا لا أستطيع أن أخرج. الخروج يؤذيني.

- إنكِ تستطيعين الخروج، بطبيعة الحال، رأيتُكِ تركبين دراجتي... الدرّاجة - صحَّح فابْيو، وهو يرى أن هذه الحقيقة ليست له أيضًا. كان فابْيو يملك عشرة أصابع وقليلًا، قليلًا جدًّا، من الحقائق.

مشت مارينا حتى بلغت حافة الدكان. كان خطٌّ رقيق يفصلُ ضوء الشمس الذي يسقط على الأسفلت عن الظِّلّ الذي تخلقه أكياس الأزبال التي أُلصقت بخرَق على سقف محل بيع الفواكه، والتي من المفترض أنها تحمي الفواكه. مثل سجينة على وشك أن تقفز عبر جانب مركب، خطت مارينا خطوة، وتركت شمسَ بوغوتا الحارقة لتلفح وجهها، ذراعيها ويديها. وسرعان ما بدأت بقعة حمراء تبرز في جِلْدها، من حافة الشعر وهي تلتوي حتى مَقْرن شفتها اليسرى، كما بدأت بقعة أخرى أكثر دكنةً تبرز من عنقها، وبعض البقع الصغيرة برزت أيضًا تحت أذنيها، وراحت تلك المناطق التي تقاوم اللون الأحمر تلمعُ مثل جزر من عاج فوق بحر قرمزي. حكَّت مارينا ذراعيها اللذين امتلآ أيضًا بالبقع.

- خريطةٌ، همسَ فابْيو.

- ماذا؟ - قالت مارينا وهي تعود إلى عتمة الدكان - إنها ليست خريطة، إنها الحساسية.

- إنها خريطة، انظُري - أخرج فابْيو من جيبه خريطة دارِيّو، المطوية ثماني طيَّات - هذه هي اليابسة، هل رأيتِ؟ - وأشار فابْيو إلى فرنسا - وهذا هو البحر - ثم أشار فابْيو إلى المحيط الأطلسي.

رفعَ فابْيو الآن إصبعًا نحو وجه مارينا، ففتحت عينيها وتوترت.

- هذه هي اليابسة - قال مُشيرًا إلى إحدى البقع الحمراء، التي كانت قد بدأت تشحب - وهذا هو البحر.

وضع فابْيو سبَّابته على أنف مارينا، الذي كانت تُبلَلهُ قطرةُ عرقٍ. البحر موجود، وهو حقيقي، إنه يقينُ سبّابته.

ركضت مارينا نحو خلفية الدكان مفزوعة بعض الشيء، ثم استعادت هيئتها وسألته:

- ماذا تريد؟

- ماذا تفعلين طوال اليوم إن كان الخروج يُصيبك بالحساسية؟ - سألها فابْيو، متجاهلًا دعوة مارينا للاستمرار في علاقة زبونٍ مع بقّالٍ. ابتسمت مارينا، وثلاثة من حبات فاكهة التِّين في يديْها. تمكَّن فابْيو من إدراك رائحة فاكهة ما قبل التاريخ. قد تقول أليسيا إن ما قبل التاريخ لا يوجد لأن ما جاء قبل التاريخ لا يمكن أن يُحكَى، لكن فابْيو كان اليوم مستعدًّا لتلك الألعاب. كانت فاكهة التِّين صفراء تفوح برائحة عذبة، موجودة، سواء كانت من فترة ما قبل التاريخ أم لا. بكلتا يديْها، راحت مارينا تقذف حبات فاكهة التِّين في الهواء، تلتقط واحدة وتقذف أخرى. إنها ثلاث حبات من فترة ما قبل التاريخ وهي لا تملك غير يدين اثنتين، ومع ذلك تجعلها تحلّق ببراعة. ضحك فابْيو. لم ير قطّ أحدًا يتحرّكُ بتلك الطريقة.

عندما وصل إلى البيت، انزلق فابْيو تحت السرير، كان بحاجة ليفكر. تعوّدَ فابْيو على التفكير تحت السرير، لأنه يفكر بشكل أحسن هناك، مثل الفواكه، يكفُّ عن الشعور بثقل الزمن. كان روبيرْتو ينشغل كلما رأى ابنه تحت السرير، فيعلو وجهَه الاضطراب والحسرة، ولا يعرف فابْيو السبب.

في تلك الليلة، لما عاد من العمل، اضطجع روبيرْتو على الأرض، بجانب فابْيو، ليس تحت السرير (لأن مكانًا صغيرًا جدًّا لن يتسع لروبيرْتو) لكن بجانبه، بجانب فابْيو، قرب السرير.

- فابْيو... ماذا يحدث، هل أنت خائف؟

شعر فابْيو بالخجل، لا يريد أن يعلم والدُه، أعظم الرجال وأكثرهم شجاعةً، أنَّ ابنه يختبئ من العالم.

- سوف يزول هذا الأمر قريبًا - أجابه فابْيو، وهو ما يزال ينظر إلى الألواح التي تحمل الفراش الذي ينام عليه.

- لا أظن، يا فابْيو، أن هذا الأمر يزول - لكن فابْيو لا يفهم. ما الذي يمكن أن يعرفه أبوهُ عن الخوف إن لم يهدأ قطّ في حياته؟ استدار فابْيو ورأى، من تحت السرير، كيف كان والده ينظر إلى أعلى. كان والده ينظر إلى شيء ما لا يستطيع هو أن يراه.

- إن مثل هذه الأمور التي لا تزول، يجب تحمُّلها والسير قُدمًا وإلا فإن المرء لن يتحرك أكثر... عندما كنتُ في سنّكَ، يا فابْيو - بدأ روبيرْتو يحكي - كنتُ أسكن بعيدًا عن هذه المدينة، أقضي اليوم بكامله أقفزُ فوق الحجارة. حجارة كبيرة، بحجم أكشاك الحُرّاس. كنتُ أقفز من حجر إلى حجر فوق نهر يجري قرب منزلنا. كانت الحجارة بعيدة عن بعضها البعض، بعيدة جدًّا، يا فابْيو، ومع ذلك كنتُ أقفز فوقها دون أن أسقط. اليوم، لا أستطيع مهما كان جزاءُ ذلك، يا فابْيو، بل إنني لا أحاولُ حتى... لأنني أعرف أنني يمكن أن أسقط. إنه شيء لن أقوم به مرة أخرى، لا أذكرُ كيف ولا لماذا كنتُ أفعله. أنا مُتيقِّن فقط من أنني لا أستطيع، لأنني أشعر بالخوف. لكن هذا ليس سببًا ليختبئ المرء، فالحجارة بدورها لا يهمها أنني لم أعُد أقفز.

كان فابْيو يختبئ من العالم لأن العالم يكذبُ عليه، يخشى المدينة فيُفضل أن يلتزم بالهدوء، تحت سريره. لم يكن يريد أن يتحرّك عبر العالم بخَرَقٍ. لم يكن فابْيو يفهمُ والدَه، يتأمل الألواح التي تحمل فراش سريره بينما روبيرْتو يتأمل شيئًا ما في الخارج. كان ثمة شيء ما في الخارج لا يستطيع فابْيو رؤيته لأنه كان تحت السرير.

لكن، لماذا يخرج. كان فابْيو يعرف كيف هو العالم في الخارج. فالخارج كان يغصّ بأشخاص يُهدون مراوح لزوجاتهم عندما تشعرن بالبرد، أشخاص يُضيعون حياة بكاملها في رسم خطوط على الخرائط، أشخاص لا يستطيعون الخروج ليلعبوا خوفًا من الشمس، أشخاص كفُّوا منذ سنوات عن القفز من حجر إلى آخر كأنهم لا يقهرون. فالخارج ليس دائمًا أحسن.

لكن، ربما يكون هناك مزيد من الهواء.

رأى فابْيو حُلمًا.

رأى في الحلم أنه يتشبَّثُ بقشرة شجرة عالية جدًّا، لا مُتناهية. شجرة من دون جذر ولا قمّة، فقط جذع يخترق كل شيء. كان طابور من عشرة رجال يتسلَّقون الشجرة أمامه، يتمسَّكون بأغصان الشجرة ويتحرَّكون بسرعة، كما لو أن الأعواد سلالم. كان فابْيو يراهم في الحلم، يحاول أن يصعد وراءَهم لكنه يضمُّ فقط جسده إلى جذع الشجرة. كانوا جنودًا، يتقدَّمون بسرعة كأنهم من طوال السيقان، يرتدون ملابس بلون قشرة الشجرة. عندما يحاول فابْيو أن يصعد عبر الأغصان يتكسّر الخشب، لأنه لا يتحمل ثقله. كان حلمًا ونحن نعرف كيف تنتهي الأحلام، سوف يسقط فابْيو.

تقولُ إنك تذهب نحو الأسفل

وفجأةً يستحيلُ خشبُ الشجرة مركبًا يجري فوق نهر، زورقًا واسعًا، لا متناهيًا. ليست له مقدمة ولا مؤخرة، فقط سطح واسع طويل يمخُر الماء. على الشاطئ كانت ترقد منازل الجيران، فتعرّف فابْيو على ركن من المدينة لكن مكانَ الشوارع كانت تجري المياه. ما زال فابْيو يحلم أنه يمكن أن يسقط فيتمسَّك بخشب الطّوْف كما لو أن حياته مُعلَّقة به.

لكن الجميع يرونك تصعدُ

تقولُ إنك تذهب نحو الأسفل

كان النهر واسعًا وهائجًا، وراح الجنود أمامَه يُبحرون الآن كما لو أن المركب لم يكن شجرة قط. كانت نظرات فابْيو تركز على أفق لا يراه، لا يستطيع أن يحلم به. وحتى يتحرّك الطّوْفُ كان الجنود العشرة ينفخون، بكل قواهم، في الاتجاه المعاكس لمجرى النهر. كانوا هم فيلق الريح، وجاؤوا بأمر من الإمبراطور يوليانوس [6] يبحثون عن عجوز يُدعَى أثناسيوس، ليقتلوه.

سأنزلُ عبر النهر، سأصل بسرعة أكبر

لكن الجميع يرونك تصعدُ

تقولُ إنك تذهب نحو الأسفل

عند أعلى النهر، كان ينزلُ طوْفٌ بها رجُلان، تعرّف فابْيو واحدًا منهما. كان رجلًا أصْلع وأكْرش، يشبه كثيرًا إصبع إبهام. كان هو ألبرتو، زوجُ أليسيا. لم يسبق لفابْيو أن رآه، لكنه كان حلمًا ويعرف من هو. فوق رأس ألبرتو، كان حوض سمكٍ مفتوحًا من الجهة العُليا. كان ألبرتو سمكةً تموت من العطش، لا يتنفّس. كان الرجل الآخر أكبر سنًّا، يرتدي عباءة حمراء وله لحية متسخة تصل حد أرضيَّة الطّوف، وجلده يلمع مثل البلاستيك.

البعض يسمعونك تقول

نحو البحر يرحل جسدي المُتعبُ

لا أحد يُصدق أنك ستنجحُ في ذلك

نحو البحر يرحلُ جسدي المُتعَبُ

رأى فابْيو في الحلم أنّهُ يُنبّه الجنود، هذا الرجل هو أثناسيوس، إنّ صاحب الطّوْف الذي صادفناه للتو هو الرجل الذي تبحثون عنه. التفت الجنود العشرة لينظروا إليه كأنهم فقط لحظتها انتبهوا إلى حضوره. هل كذبَ العجوز؟ قالوا بصوت واحد. كان فابْيو يفكر، يحلم، لا، لا، إنه لم يكذب، ليس تمامًا، ليس بالكلمات. تابع الجنود يجدفون ضد التيار عبر النهر الزّمردي. هرب ألبرتو والقديس أثناسيوس باتجاه سافلة النهر، وقريبًا سوف يصلان إلى المقبرة القديمة.

تقول إنك تذهب نحو الأسفل

لا أحد يصدق أنك ستنجحُ في ذلك

نحو البحر يرحل جسدي المُتعَبُ

استيقظ فابْيو

- ماليسيا، افتحي لي الباب. أنا لستُ ابنك - صاح فابْيو أمام باب جارتهم.

- هذا أنت، يا فابْيو - قالت أليسيا ثم فتحت له الباب بتثاقُل، وهي تبتسم.

- لن تصدقي ما وجدتُ.

- أيُّ كذبة هذه التي جئتني بها؟ ماذا قالوا لك الآن؟ - قالت أليسيا وهي تشرع في صنع نسيج جديد من أطراف خيوط الناموسية التي تُغطي المكتبة.

- وجدتُ البحر، يا أليسيا، لكنه البحر الحقيقي. وجدتُ خريطة تبلّلُ أصابع يدي. والآن، هل ستصدقينني حين أقول إن البحر موجود؟

ابتعدت أليسيا عن الناموسية ونظرت إلى فابْيو. هكذا، من دون حركة. كانا يبدوان بنفس القامة تقريبًا. ظلَّ فمُ العجوز يبتسمُ، وكانت لها يومئذ أتعس نظرة في بوغوتا.

- كلامٌ، يا فابْيو.

- إنه ليس مجرد كلام - قاطعها فابْيو - وجدتُ أيضًا فاكهة صفراء تبدو مثل بيضة ديناصور. إنْ كان هناك بيض ديناصورات فقد كانت الديناصورات

موجودة فعلًا. تقول مارينا إن الفاكهة تحوي بداخلها بذورًا حامضة المذاق لها...

- مارينا؟

- بنتُ صاحب دكان الفواكه، نعم، هي من كانت تملك درّاجتي سابقًا، لكنها لا تستطيع أن تركبها لأن الشمس تُحيلُها خريطة، هذا يؤلمها ويجعلها تحكُّ جلدَها. طلبتُ منها أن تفعل ذلك مرةً أخرى حتى تريْ بنفسكِ. هيا، يا أليسيا، نذهبُ وأقدّمُها إليكِ.

- لا أستطيع، يا بُنيّ، أنا مُتعَبة جدًّا - قالت أليسْيا ثُم جلست على الأريكة.

- لا تكوني كسلانة، يا أليسيا، امْش، أكيد أن هذا مفيد لك. هي مسافةُ مائتيْ متر فقط.

نظر فابْيو إلى أليسيا فرآها مُتضائلة وصغيرة جدًّا، وهي تتأمل الآن، بشيء من الحنين تقريبًا، المائدة التي يوجد فوقها تمثال القديس أثناسيوس البلاستيكي.

- ظننتُ أنكَ ستأتيني بكذبة، يا فابْيو.

- لوضع نسيج للقديس؟ - ثم نظرت أليسيا إلى فابْيو وابتسمت، لا طاقة لها تقريبًا لتُجيبه.

دنا فابْيو من أليسيا وبيده اليمنى أخذ من فوق المائدة تمثال القديس أثناسيوس، وجعله ينزلق من الطرف الأعلى من الناموسية نحو الأسفل، وهو يتذكّرُ حلمَهُ.

- أليسْيا، هناك شيءٌ ما لا تقولينه لي - فتحت العجوز عينيها الجاحظتين اللتين تشبهان كُرَتَيْ بِلْي، وظلَّت واجمةً - إن لم يكن البحر موجودًا... فأين تنتهي

الأنهارُ؟

نظرت إليه أليسيْا في صمت.

- لِمَ لا، من الأحسن أن تأتيني بحبَّة من تلك الفواكه الصفراء لأرى إن كنتُ أصدق حكاية الديناصورات التي تقولها؟ بعد ذلك، يمكن أن نتحدث عن الأنهار.

مُستحضرًا البحر في ذهنه، خرج فابْيو راكضًا نحو بيتهم، وبعد ذلك سيذهب إلى بيت مارينا ثم سيعرضان معًا على أليسيا حبَّات فاكهة التِّين التي تعود إلى ما قبل التاريخ، ليُرياها الشمس التي تخلق خرائط الحساسية على جلد مارينا، وتشبه كثيرًا تلك الفكرة التي لدى فابْيو عن بحرٍ لم يرهُ قطُّ. بقيت أليسيا لوحدها في البيت، فأغمضت عينيها وراحت تسمع أصوات المدينة. دائمًا نفسُها، طريقةُ تنفُّس الغول.

عند باب المرأب حيث يوجد دكَّان الفواكه، كانت مارينا تنتظرُ فابْيو وهي تنجز ألعاب خفَّة بواسطة ثلاث حبّاتِ ليمونٍ متوسطة الحجم. كان فابْيو قد أحضر درَّاجته بلون السلمون، يُدحرجها إلى جانبه، ولم يعُد يعرف إن كانت دراجته أم درّاجة مارينا، لكن، مهما يكن، فقد نسي كيف يركبها. مثلَ خزّانيْن، لمعت عيْنا مارينا مرةً أخرى عندما رأتا الدرّاجة، ثم اقتربت وحبَّات الليمون ما تزال بين يديها. أما هو، فلم يكن يعرف إن كان عليه أن يتحرّك أم لا، لكنه قرر أن يتكلّم.

- جئتُ لأشتري منك حبة من فاكهة التِّين.

- آه - قالت مارينا - انتظر هنا، سأذهب لأسأل.

راح فابْيو يلاحظ حبَّات الفواكه واحدة تلو الأخرى يبحث فيها عن دليل لما قبل التاريخ. برتقالٌ، تفاحٌ، رُمّانٌ، طماطمٌ. نفس الفواكه المعتادة. موزٌ، برتقالٌ، مانجو. فواكه ليست عدوانية ولا أسطورية، ولا يمكن أن ينبت منها أبدًا أي ديناصور. أين كانت حبَّات فاكهة التِّين؟

- سوف تصلُ غدًا - قالت مارينا، عائدةً من الجزء الخلفي للدكان، حيث يظن فابْيو أنها تسكنُ.

- ولكني بحاجة لأبيّن لأليسيا أن هناك بيض الديناصورات، يجب أن أُريها ذلك اليوم - لم يعد فابْيو قادرًا على مزيد من الانتظار، كان يشعر أن أليسيا ظلَّت تعتقد منذ مدة طويلة أن البحر غير موجود، وأن ألبرتو خدعها. لا تستطيع أليسيا أن تنتظر.

هزّت مارينا كتفيْها، ظلت جامدةً، وهي ما تزال تحمل حبَّات الليمون الثلاثة في يديْها، بينما عيناها الخزّانان تُحدِّقان في درّاجتها القديمة. سقطت إحدى حبَّات الليمون وتدحرجت ببطء حتى وصلت عند قدميْ فابْيو. فاكهةٌ تتدحرجُ فوق الأرض مثل عجلة رخوة.

- أعرف أين توجد حبّات فاكهة التِّنّين. لكننا سنكون بحاجةٍ لزُمرة أطفال الدرّاجات.

أحضرت مارينا من بيتهم ثمانية شرائط وأنبوبيْن مُدوّريْن. شدّت الشرائط بعناية إلى المقود وابتسمت مسرورةً. ثبّتَتْ الأنبوبيْن في البُرغيْن البارزيْن من العجلة الخلفية من الدرّاجة، اللذين دائمًا كانا يبدوان دون جدوى لفابْيو. لبست مارينا غطاء سُترتها وغطّت وجهَها بقطعة ثوب كبيرة. عدَّلت مارينا جلستها فوق مقعد الدرّاجة وطلبت من فابْيو أن يتوقف عند الأنبوبيْن اللذين يبرزان الآن من العجلة الخلفية.

- أمسكْها جيدًا ولا تُطلقْها لأنني قد أسقط.

- حتى إنْ أَطلقتُها فإنني لا أُطلقُها - قال فابْيو مبتسمًا، دون أن يعرف جيدًا لماذا.

ضربت مارينا الأسفلت برجلها اليُمنى وبدأت تضغط على الدوّاسة. طفقت شرائط المقود ترقص في جنون، والأسفلت يمضي سريعًا تحت الدرّاجة. شعر فابْيو بهواء بوغوتا يكشِطُ خدّيه. أطْلقَ كتفيْ مارينا، رفع ذراعيْه، شعر بالريح، وأغمض عينيه. لم يعد بحاجة ليعرف إلى أين يذهبُ. أغمضَ فابْيو عينيْه ولم يعد الغبارُ هو ما يخترقُه. أغمضَ عينيه فأحسَّ بالبرد في يديه، في شفتيْه، في جفْنيْه. أغمضَ عينيه فشعر بالسماء، والشمس، والسُّخام. أغمض فابْيو عينيه وراح ينظر إلى نفسه من الداخل.

فوق الأرضية المُتْربة لبوغوتا بدأت تدور عجلات درَّاجات زمرة الأطفال الذي عادوا ليُلاحقوا الدرَّاجة بلون السلمون كأنهم لم يتوقفوا قطُّ عن فعل ذلك. كان بابلو، كارمن، آليكس، غوادالوبي وفْران يُدوّسون في زُمرةٍ احتفاءً بعودة زعيمهم. اندفع فابْيو ومارينا نحو شوارع المدينة الغول، وهما يستطيعان معًا أن يُنجزا أي نوع من التمارين، لا يخشيان شيئًا. الدرّاجة بلون السلمون يمكن أن تكون أي حيوان؛ حصانًا من خيول جنكيز خان، نمرًا من نمور البنغال، آخر ديناصور نجا من الانقراض. كانت الدرّاجة الآن ديناصورًا يجوب الشوارع الباردة لبوغوتا باتجاه المقبرة القديمة، بحثًا عن فاكهة ما قبل التاريخ التي تُثْبتُ وجودَه.

صعدَ الأطفال ونزلوا، وفق انحناء التلّ الذي يرقدُ فوقَه الحيُّ، تركوا أنفسهم يسقطون، نزلوا عبر التلّ، صاحوا، لمسوا الأرض بأياديهم، صرخوا، احتفلوا. لقد استعادوا زعيمهم، الذي لم يكن قطُّ هو فابْيو وكان دائمًا هو الدرّاجة.

ومن فرط ما تركوا أنفسهم يسقطون، بأذرُع مفتوحة وعيون مُغمضة، وصلت الدرَّاجات إلى المقبرة القديمة، بيتٌ تخلدُ فيه إلى الراحة آلاتٌ لا بُدَّ لها أن تتوقَّف عندما لا تتحرَّكُ. كانت هناك من الحافلات أكثر مما يستطيع فابْيو أن يُحصيه، كلها مصبوغة بلون أبيض، كلها تقاوم التغيير بيافطة زرقاء تشير إلى مصيرها المحتوم.

كانت المقبرة مؤقتة بدورها.

كانت درَّاجات زُمرة الأطفال تبدو صغيرةً جدًّا قربَ الوحوش المعدنية، لكن لا أحد من الأطفال كان يشعر بالخوف. كانوا مع بعضهم وهذا هو الشيء الوحيد الذي يُهمهم، وهو أكثر مما كانوا يتوفرون عليه بالأمس. كان فابْيو، بدوره، يملكُ حقائق قليلة، قليلةً جدًّا حتى إنه يستطيع أن يعدَّها على رؤوس أصابع يد واحدة. لكن الحقيقة الوحيدة التي كان بحاجة إليها في تلك اللحظة هي حقيقة إصبع الخنصر، وهي حقيقة بسيطة لكنها أكيدة: روبيرْتو لا يُحب تنظيف الحافلة. في ركن من أركان باحة الوقوف، كانت تستريح الآلة الضخمة المؤقتة لوالد فابْيو، وما تزال 10 حبَّات من حبَّات فاكهة ما قبل التاريخ تتدحرج فوق أرضيتها.

- داخل واحدة من هذه الحافلات توجد بيضةُ ديناصور صفراء - صاح فابْيو في زُمرة أطفال الدرَّاجات، وهو يتذكّرُ سُلطة فيلق الرّيح - يجب أن نعثر عليها.

ضد كل الوقَعات، ولأول مرةٍ منذ أن بدأ فابْيو يتذكَّرُ - أو لا يتذكَّرُ - لمست أقدامُ زُمرة الأطفال الأرض. أخذ بابْلو قطعة خردة، وهي مقدمة حافلة قديمة واستعملها رافعةً يفتحُ بها أبواب الآلات. قرّرت غوادالوبي أن تصعد فوق السطوح وتلج إلى العربات عبر نوافذ السقوف. وضعت كارمن ثقتها في حاسَّة شمِّها فكانت تُغمض عينيها عند ولوج كل حافلة كي تكتشف أحسن رائحة يمكن أن تصدُر عن تعفُّن البيضة. أما فْران، بشجاعة غير معهودة فيه، فكان يمشي على أربع فوق أسطح الحافلات ويدسُّ يديه بين طبقات ثوب المقاعد، ليجد قطعًا نقديةً، كُتلًا، وصورَ وثائقٍ تركها أهلُ بوغوتا مُخبَّأةً خوفًا من النسيان.

أطلقَ آليكس صيحةً من خلفية باحة الوقوف، عثر على حافلة روبيرْتو. فتح بصعوبةٍ الباب القابلَ للطَّي، صعد سلالم الحافلة، وداخل مقصورة السائق، خلف دوَّاسة المكبح، وجدَ حبّةَ فاكهة تتّين بلون الشمس، تموتُ.

وهو يمشي على رجليْه معًا ويحمل حبَّة فاكهة في يديه، اقترب آليكس مزهوًّا من الصديق الذي ظنَّهُ مفقودًا. اقترب فابْيو بدوره من آليكس وعانقه. كان آليكس يخشى أن يفقدَهُ مرةً أخرى.

على إيقاع تنفُّس الغول، صعدت زمرةُ أطفال الدراجات التّلَّ، من المقبرة القديمة حتى بيت أليسيا. كان فابْيو يمسك حبَّة الفاكهة بيديه ومارينا تقف فوق الدوّاستيْن كي تندفع وتتحمَّل ثقْلَ ما قبل التاريخ. وصلت زمرة الأطفال إلى بيت أليسيا ويبدو أن كل الجيران قد سبقوهم إلى هناك. ملأ سُكّانُ الحيّ الشارعَ، وجاؤوا ليعاينوا إثبات ما قبل التاريخ، فكّرَ فابْيو، الدّليل على وجود البحر.

- فابْيو، أين كنت مُختبئًا، كنتُ أبحثُ عنك - كان لآنا صوتٌ جديد، لم يكن ذلك هو صوت أمه، ولا يذكره فابْيو على هذا الشكل.

- أنا قادم يا أمي، يجب أن أعرض على أليسيا هذه الحبَّة من فاكهة التِّنّين - ترجّلَ فابْيو دون مجهود من الدرّاجة، وانطلق نحو الحشد وهو ما يزال يُمسك حبَّة الفاكهة بين يديه، يشقُّ طريقه بين الأشخاص، إلى أن وضع والدُه يديه القويّتيْن فوق كتفيْه وأوقفه.

- لن تستطيع زيارة أليسيا، يا فابْيو - كان أبوه يعرف، كان قد أخبرَهُ. قال له والدُه ذلك فصدَّقهُ فابْيو.

التفت فابْيو. كانت آنا تبكي. زمرةُ الأطفال تنظر إليه من بعيد، كلِ طفل رفقةَ دراجته بين يديه، وقدماه فوق الأرض. بدأت عقدةٌ تنسج خيوطَها في حلق فابْيو، عقدة من نسيج تشبه عقدة من قماش قد يكون جزءا من مذبح أحد القديسين. لم يتعرّف فابْيو أمَّهُ، التي اسمها آنا ولا تبكي، تصنع الخبز ولا تبكي، تُغني الباتْشاتا ولا تبكي. لم يسبق لفابْيو أن رآها تبكي.

- لماذا؟ لماذا لا يمكنُه أن يرى أليسيا؟

- لقد رحلت، يا فابْيو، لم يعُد لها وجود - قالت له أمه، مرّة أخرى بذلك الصوت. لم يصدقها فابْيو، لم يصدق صوت البكاء. انسلَّ بين أرجُل الجيران ونجح في الدخول إلى بيت أليسيا وحبَّة فاكهة التِّنّين ما تزال في يده. كانت قطع الأثاث في نفس المكان الذي كانت فيه يوم رآها فابْيو لآخر مرة. كان الغبار يُحلِّق بتثاقُل في الغرفة كما لو أن الهواء يستطيع أن يحمله، والقديس أثناسيوس يقبع جامدًا فوق مائدة الوسط، في بحرٍ من الرّغب الذي لن يكبُر من جديد. لم يغير أي شيء مكانَه ولا شيء كان لَه من سببٍ ليُوجد. لم يعُد من معنى لأي ناموسية، لأي مروحة يدوية، لأي مروحة تهوية. كانت أجسامُ البوغ مُعلَّقة جامدة في الهواء تنتظر مَن يقبض عليه.

غادر فابْيو بيت أليسيا، صاح مُناديًا على أمه وحاول أن يخترق حشد الأجساد التي كانت تُردِّدُ بصوتٍ خفيض، ماماليسيا، وتبكي، الماما، كانت تقول. منعوا فابْيو من الحركة. لقد رحلت عنَّا، رحلت عنَّا الماما.

- ولكنها كانت تنتظرني، لم تكن ستتحرك. أين ذهبت؟

تردَّدت آنا، جثتْ على رُكبتيْها أمام فابْيو ونظرتْ إلى عينيه، ثم تردَّدت من جديد.

- إلى البحر... ذهبت أليسيا إلى البحر مع زوجها.

- كلامٌ - قال فابْيو، بصوت خفيض جدًّا لا يعرف إن كان قال ذلك أم فكَّر فيه فقط. ومرةً أخرى، تدحرجتْ حبةُ فاكهة التِّنّين العفنة على الأرض، ومنها لن يخرج أبدًا أيُّ ديناصور.

كانت درَّاجات زُمرة الأطفال ترقد مستندةً على الأسفلت. تركت مارينا الدرّاجة بلون السلمون جانبًا ويبدو أنها كانت تفهم ما يجري، ربما أحسن من فابْيو. في وجهها نشأتْ خرائطُ حساسيَّة رسمتْها الشَّمسُ. تكسَّر خزانُ المياه، ومنهُ نبعتْ أنهارٌ هي أيضًا دليلٌ على وجود البحر. كان الجميع يبكون، وصار الشارع كرنفالًا من الماء المالح. إن لم تذهب أليسيا إلى البحر فقد جاء البحر إليها، فقط ليجدها قد رحلتْ.

كان فابْيو بحاجة ليتحرّك، يفعل ذلك بسرعة ومن دون أي مجهود. أخذ الدرَّاجة التي لم تعد في ملك أي أحد، كانت إحدى قدميه فوق الرصيف والأخرى على الدواسة، وفابْيو لا يُفكّر أن يتذكّر. وطأ الأرضية واندفع، دوّسَ، ارتعشَ المقودُ، تحركت العجلةُ الأمامية كأنها تريد أن تنطلق متدحرجةً خارج الدرَّاجة. طاف حول الحديقة، مرَّ قربَ دكان الفواكه، تمكَّن من رؤية الأبواب المفتوحة المهجورة في كل بيت من البيوت التي كان يوزع عليها الخبز. كانت

بيوتًا فارغةً. نزل عبر التّلِّ نحو المقبرة القديمة، وهناك حيث ينتهي الحيُّ تابعَ فابْيو يُدوِّسُ. شارع آخر قبالته، ومن جديد المدينة. صعد ونزل عبر تلالِ شوارع ضيقةٍ ثم واسعة، وأراد أن يصل إلى النهاية. أراد أن ينتهي ذلك. عبَرَ فوق الحجارة والأسفلت وتابع يُدوِّسُ. كانت بوغوتا تكبر دون صبر، وفابْيو كان صغيرًا جدًّا، لم يعُد يسمع ضوضاء الجيران، لم يعُد من وجود سوى لهمْسِ الدرّاجة، لم يعد ثمة من وجود سوى لتنفُّسِ الغول الذي يلتهمُه، شارعًا تلو شارعٍ، تلو شارعٍ، في مدينة لا ينتهي بناؤها... لا تنتهي.

وهنا كان يمشي فابْيو صاحب الدرّاجة، فابْيو السريع. فابيْيو، هل ترحلُ؟

فابْيو، ها قد رحلتَ...

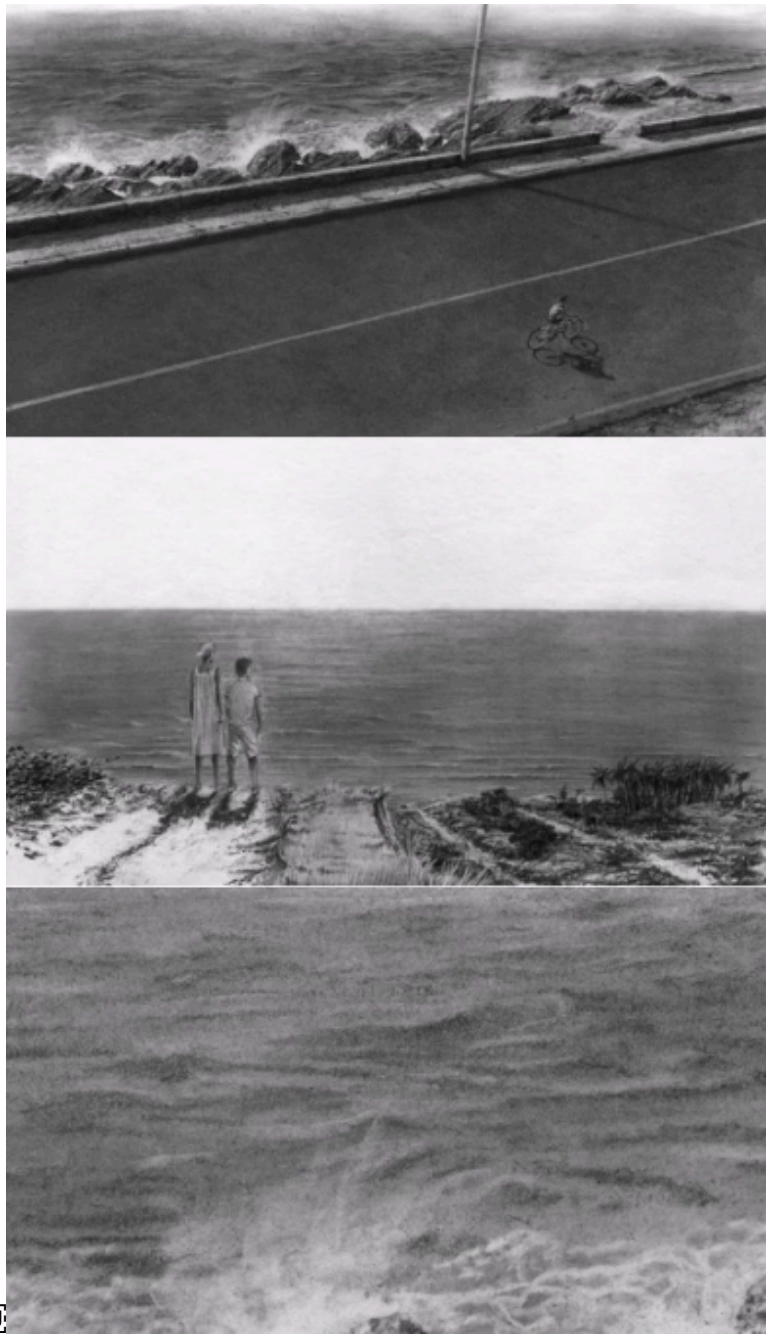

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

(تمت بحمد الله وتوفيقه)

∞ ∞ ∞ ∞ ∞

متميزون
للكتب النصية
E-Book

Group Link – لينك الانضمام الى الجروب

Link – لينك القنـــــاة

Notes

[←1] كاتب وشاعر مكسيكي ولد بمدينة الإسكندرية في مصر سنة 1955. صدرت له بعض الدواوين الشعرية وعدة مجموعات قصصية. (المترجم)

[2←] كان لهذه الإلهة اليونانية سلطة على السماء واليابسة والبحر. كما أنها كانت إلهة السِّحر والرُّقَى والأشباح. (المترجم)

[←3]
موسيقى إيقاعية راقصة ظهرت في جمهورية الدومينيك. هي مزيج من البوليرو وأنواع موسيقية أخرى ذات أصول إفريقية. (المترجم)

[←4]
يفهم فابْيو الاسم فهما حرفيًّا لأن كلمة ماليسيا "malicia" في اللغة الإسبانية تعني الخبث أو المكر. (المترجم)

[←5]
عاش بين 293 و373 ميلادية. هو أب الكنيسة القبطية الأرثودوكسية ومعلمها الأول في قضايا الإيمان وعلم اللاهوت. (المترجم)

[←6]

المعروف أيضًا بيوليانوس "المرتد" أو "الجاحد". كان إمبراطور روما بين 361م و363م. حارب المسيح وكان يُشكِّك في المسيحية ويدعو الناس إلى الابتعاد عنها. (المترجم)